AL-BADRI

DALIL AL-'ABID

2267
.10918
.328

2267.10918.328
al-Badri
Dalil al-'abid...

DATE	ISSUED TO
JAN 7 '71	BINDERY

2267.10918.328
al-Badri
Dalil al-'abid...

DATE	ISSUED TO
JAN 7 '71	BINDERY

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073544312

دليل العابد

إلى نظام المعابد

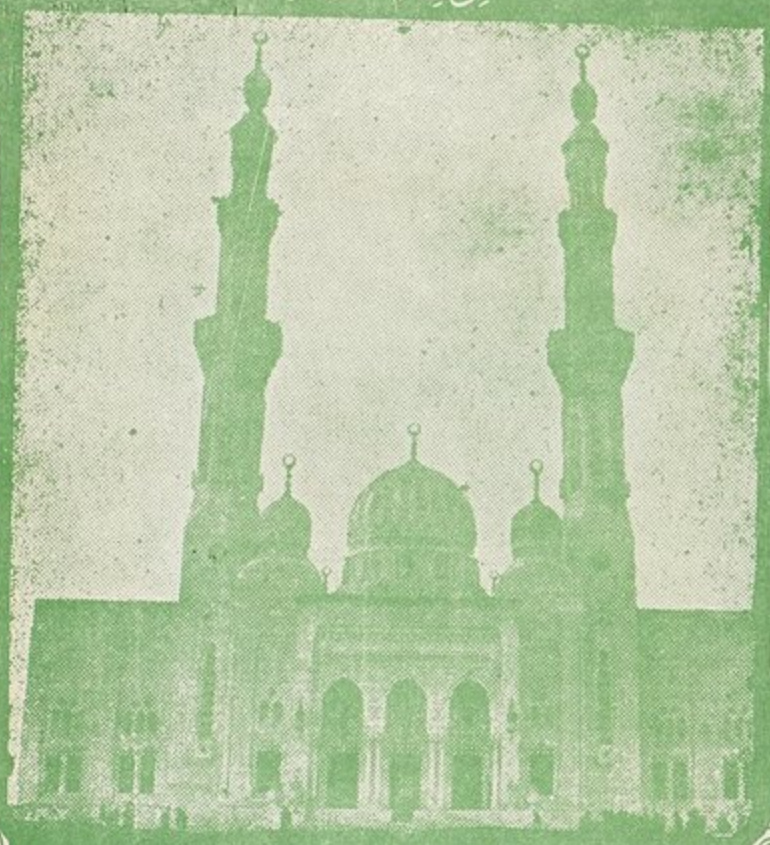

جامع الشهداء - بغداد

شركة البيدر

al-Badri, Shakir

شاكر البدري

Dalil al-'Abid

دليل العابد
إلى
نظام المعابد

من منشورات

المدرسة الأصفية العلمية الدينية

بغداد - جامع الأصفية

١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

مطبعة الارشاد - بغداد

2267
.10918
328

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنَّ المَسٰجِدَ لله فَلا تَدعُوا

مَعَ اللهِ أحَدَا

الجن : ١٨

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين • والصلاة والسلام على امام النبيين • وقائد الغر الميامين • محمد الصادق الأمين • وآله الطاهرين الطيبين • واصحابه الزاكين الساجدين • ومن اقتفى اثرهم الى يوم الدين • يوم يقوم الناس لرب العالمين :

وبعد : فهذه رسالة في نظام المعابد وتطوراتها ، وما احدث فيها ، وما يجب لها ، وما يجوز فيها ، مستقاة من ينبوع القرآن الكريم ، وهدى النبي العظيم ، وما حبّره اهل الفقه والحديث في مدوناتهم ، وما ذهبوا اليه ، واقاموا عليه ، مما استحسنه الاسلام لها ، وما نزهها عنه ، وابعدها منه ، اقدمها الى اولئك الذين يعشقون الحقائق ، ويعتصمون بحبلهـا ، ويستضيئون بمشكاتها ، عن قناعة وايمان لم يمسسهما سوء ، علهم يمدون يد الانقاذ ، ويطلقون ألسنة النصح ، لأولئك الذين خرجوا على تعاليم الله ، وابتعدوا عن هدى رسوله ، ونبذوا دعوة السلف الصالح ، واعرضوا عن وصاياهم ، فمالوا عن اتجاههم السليم ، وتوجيههم الحكيم ، واضاعوا الصلوات ، واتبعوا الشهوات ، فاخذتهم الغفلة ، وانتابتهم المحنة ، وتكالبت على أوطانهم الأعداء ، واستباح تراثهم الالداء ، واستهان بهم الذين منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوة ، فكانوا كمن ركن متن عمياء ، فخبط خبط عشواء ، يريدون الخلاص • ولات حين مناص ، ولا صلاح لهم الا بما صلح فيه آباؤهم واجدادهم من قبل ، وهم يرتلون ، وان هـذا

صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

وأهم مراجع رسالتي هذه تختصر فيما يلي :

١ ـ كتاب الله تعالى وامهات تفاسيره .

٢ ـ هدي رسول الله وامهات شروحه .

٣ ـ امهات كتب الفقه الأسلامي .

أ ـ الهداية وشرحها فتح القدير .

ب ـ حاشية ابن عابدين .

ج ـ المنهاج وشروحه .

د ـ المغنى لابن قدامة .

هـ ـ المجموع . للنووي .

هـ ـ المدونة للامام مالك .

٤ ـ فقه الحديث وشروحه .

أ ـ نيل الأوطار .

ب ـ بلوغ المرم وشرحه سبل السلام .

ج ـ العمدة وشرحها .

٥ ـ اعلام الساجد للزركشي .

٦ ـ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ـ للمحدث الشيخ محمد ناصرالدين الألباني .

٧ ـ اعلام الموقفين لابن القيم .

٨ ـ تاريخ مصر للمقريزي .

٩ ـ لسان العربن لابن منظور .

١٠ـ زاد المعاد لابن القيم .

١١ـ التاج للشيخ منصور .

هذا : واتماماً للفائدة المرادة من التأليف والنشر ذيلنا هذه الرسالة بالنظام السائر عليه ديوان الاوقاف لرعاية المعابد وموظفيها والقائمين على ادارتها ، والحفاظ عليها ، مع أسماء أهم المساجد الجامعة وموقعها ، وبانيها ، والقائم على توليتها في بغداد بقسميها ـ الرصافة ـ والكرخ ، تمهيداً لوضع كتاب جامع مفصل عن هذه المساجد الجامعة ، وما طرأ عليها القديمة والحديثة منها ، والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ؟

بغداد — شاكر البدري

* * *

هذى سبيلك ان رمت العلى فيها

(بغدادُ) نالت من المولى أمانيها
واسترجعت من صروفِ الدهرِ ماضيها
وأشرقت شمسُها بالبشرِ ساطعةً
تعلو رباها وتمشي في ضواحيها
تختالُ في حُلَةٍ بيضاءَ ناصعة
سبحانَ خالقِها سبحانَ كاسيها
وراحَ يعدو ظَلامُ الليلِ مندحراً
بنورِ بهجتِها الماحي دياجيها

* * *

مذ بالتقىٰ والنقا شادتْ مساجدَها
يدُ الرجا تبتغي مرضاةَ باريها
وحلقتْ في سَما العَليا مآذنُها
يُنيرُ دربَ الهدىٰ مِصباحُ بانيها

ودعوةُ الحقِ تعلو من صوامعها
تدعو الى عترةٍ عزتْ مآتيها
لله تدعو بصوتِ الحقِ ناصحةً
الى استماعِ نشيدٍ من عواليها

* * *

مناجدُ الله في الآفاقِ نجمُ هدى
للعالمين اذا ما ظلَّ ساريها
وانهلا منذ ان قامت دعائمُها
تدعو الى وحدة جلّت مراميها
ما خابَ معتصمٌ في حبلها ابداً
ولم يخبْ ابداً في الدهرِ داعيها
لا فرقَ بين بني الايمانِ قاطبةً
فيها ولا بين ساميها وآريها
الكلُّ في نظرِ الاسلام مجتمعٌ
نالَ الكرامةَ حقّاً في تآخيها
لله من وحدةٍ غراءَ جامعةٍ
شملَ الشعوبِ الألى ما ضلَّ هاديها

* * *

من ظلِّ جدرانها رايتُنا اقتحمتْ
سوحَ المعامعِ قاصيها ودانيها
وتمخرُ البحرَ ما خافتْ تلاطمهُ
بل صارعته بعزمٍ من تفانيها
ما عاقَ اقدامَها يومَ اللقا ابداً
مخاطرُ الزحفِ عاليها وواطيها

كلا ولا طأطأتْ للعلج يومَ وغىً
هامُ الرجالِ ولا ذلت مواليها

جهادُها في سبيلِ الله متصلٌ
في البحرِ طوراً وطوراً في بواديها

تسيرُ في مهمهِ الأخطارِ ظافرةً
بالنصرِ صابرةً فيما يُلاقيها

(خضرٌ مرابعها • بيضٌ صنائعها
سودٌ وقائعها • حمرٌ مواضيها)

تدعو الى اللهِ ما حادتْ مناهجُها
عن منهجِ الحقِّ يوماً في دعاويها

تسعى بجهدٍ عظيمٍ في تعاونها
على المنافعِ إنْ ضاقتْ مآتيها

والناسُ في مأمنٍ من كلِّ ضائقةٍ
تنغصُ العيشَ قهراً في صياصيها

فلا الغنيُّ شكاً من حكمِها ابداً
ولا الفقيرُ تلظى في مآسيها

والعالمُ العاملُ الترضى نصيحتُه
بالنشرِ يدعو ويدعو في قوافيها

والحاكمُ المؤمنُ المفضالُ متجهٌ
نحو العدالةِ لم يُخطىء معانيها

---

(١) نظمت هذه القصيدة لالقائها يوم افتتاح ـ جامع السامرائي ـ السيد الوجيه الحاج جاسم الحاج محمد السامرائي في بغداد الجديدة فحال دون القائها حائل فلم القها ورأيت من المناسب اثباتها في صدر كتابي هذا تبصرة وذكرى للذاكرين •

وقـائدُ الجندِ جنـدِ اللهِ مؤتمنٌ
عـلى القيادةِ لم يُهمـلْ مراقيها
والشعبُ في طاعةِ الحكّامِ ما حكموا
بالحقِ في شرعةٍ ما خـاب راجيها
حتى انتهـا ملوكُ الارضِ طائعةً
تبغـي حماهـا وتسعى في مراضيها

* * *

يا رائدَ الوحـدةِ الكبرى لأمتنـا
هذى سبيلُك إنْ رُمتَ العلى فيها
(بغـدادُ) دارُ سلامٍ والسلامُ بها
نـورٌ تلألأ فـي شتّى نواحيهـا
منهـا (الزعامةُ) شعتْ شمسُ بهجتِها
فـي العـالمينَ وما خابتْ مساعيها
فيها (الخلافةُ) بعد (الشامِ) ما نقضتْ
عهداً ولا حالفت يوماً اعاديهـا
العلمُ منها ومنها المجدُ منبثقٌ
والعبقريـةُ حلّتْ فـي أهاليهـا
كلُّ الحوادثِ فـي التاريخِ شاهدةٌ
أنَّ الدهـا والنُهى ملكٌ لراعيهـا

* * *

فامددْ يديك عـلى هـذا مبايعـةً
شعباً تَسامى زمانا فـي أعاليها
واحفظْ عُراها ولا تشمت بها أحداً
فاللهُ يحفظ بالأسـلام حاميهـا

وشمّرِ المساعدَ المفتولَ متجهاً
الى (فلسطينَ) واستخلصْ أراضيها
بجيشكَ الباسلِ الصنديدِ من قدمٍ
خاض الحروبَ ولم يرهبْ مَهاويها
في البرِّ والبحرِ ما خارتْ له همم
وانه في نسور الجوَ واليها
واعطف بحزمٍ وعزمٍ كلُّه أملٌ
على (الكرامةِ) اذ دُكّتْ مَبانيها
فانها لم تزلْ في الحرب صابرةً
صبرَ الكُماةِ الالى كانوا ضواريها
والغاصبُ الناكثُ الأيمانَ متشرحٌ
يلهو ويلعبُ في أغنى مراعيها
يكفي الاسودَ صدودٌ عن مرابضِها
والكلبُ ينعمُ قَسرا في مآويها
ان دامَ هذا ولم تعدمْ قواعده
هيهاتَ أن نلتقي يوماً بواديها

* * *

هذا شعوري بأشعاري أقدمُه
اليكمو وأنا (البدريُّ) قاريها
فانْ رأيتُ قبولاً زانه عملٌ
في وحدةٍ يجمع الاخوانَ حاديها
ويأخذُ الحقَ من باغٍ ومغتصبٍ
ويُرجعُ الدارَ ملكاً في اهاليها

ويحكمُ المشـــعبَ (بالقرآنِ) متخـذاً
مـن الشـــريعةِ دستورا يحاميهـــا
ويسـعدُ الناسُ طرّىً فـي مواطنهم
والكلُّ يهنأ فـي اسـمى تهانيهـــا
هتفتُ ما عشـتُ في ارجائِهـا فرحاً
(بغـدادُ) نالتْ مِن المولى أمانيهـا

بغـداد — شاكر البدري

* * *

مقـــدمة

المعـــــــابد

المعابد : جمع معبد وهو ما يتعبد فيـــه ، وقد اصـطلح اهل الأديان السـماوية والوضـعية عـلى تسـمية المكان الذي يتعبدون فيـــه بما ارتضوه من التسمية ، او بما سماه الله تعالى ففي القرآن سمى الله معـابد الأديان التي ارتضاها بالصوامع والبيع والصلوات والمساجد في قولـه تعالى ـ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا[1] ـ قال علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن في تفسيره ج٣ ص٢٩١ في قوله تعالى ـ لهدمت صوامع ـ هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء ـ وبيع ـ هي معابد النصارى في البلد ، وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى ـ وصـــلوات ـ هي كنائس اليهود ويســـمونها بالعبرانية صلوتا ومساجد ـ يعنى مساجد المسـلمين والمعبادة وما اشتق منهـا معاني كثيرة حققتهـــا في كتابي ـ عبادالرحمن في هدى القرآن[2] ـ

---

(١) الحج ٢٢/٤٠ .
(٢) معد للطبع .

وبينت مذاهب اهل اللغة فيها وفي مشتقاتها بما يشفي صدور قوم مؤمنين .

المساجد : جمع مسجد على وزن ـ مَفْعِلْ ـ بكسر العين وهو اسم لمكان السجود ، وبالفتح ـ مَفْعَلْ ـ اسم للمصدر ، قال الفراء ، كل ما كان على [فَعَلَ . يَفْعُلُ] كدخل يدخل فالمفعل منه بالفتح اسماً كان أو مصدرا ، وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، وقال سيبويه : واما المسجد فانهم جعلوه اسماً للبيت ، وقال الجوهري : مسجد بفتح الجيم محراب البيوت ، ومصلى الجماعات مسجد بكسر الجيم ، والمساجد جمعها ، وقد اسهب ابن منظور في معنى سجد وما اشتق منه[1] :

قال العلامة الزركشي في اعلام الساجد ص ٢٧ ، واما شرعاً فكل موضع من الأرض ـ يقال له مسجد ـ لقوله صلى الله عليه وسلم ـ جعلت لي الأرض مسجدا[2] ـ وهذا من خصائص هذه الأمة ، الى ان قال ، ولما كان السجود اشرف افعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل ـ مسجد ـ ولم يقولوا مركع ، ثم ان العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه ، وكذلك الربط ـ جمع رباط ـ والمدارس فانها هيئت لغير ذلك اهـ .

* * *

المسجد الجامع

قال ابن منظور في لسان العرب ج٨ ص٥٥ [والمسجد الجامع] : الذي يجمع اهله نعت له لأنه علامة للأجتماع ، وقد يضاف وانكره بعضهم ، وان شئت قلت : مسجد الجامع بالأضافة كقولك ، الحق اليقين . وحق اليقين . بمعنى مسجد اليوم الجامع ، وحق الشيء اليقين ، لأن اضافة الشيء

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٢٠٤ وما بعدها .

(٢) من حديث اخرجه البخاري في باب التيمم ، عمدة القارى ٧ ـ ٥ .

الى نفسه ، لا يجوز الا على هذا التقدير ، وكان الفراء يقول : العرب تضيف الشيء الى نفسه لأختلاف اللفظين ، كما قال الشاعر :

فقلت : انجوا عنها نجا الجلد إنّه سيرضيكما منها سنامٌ وغاربه

* * *

فاضاف النجا وهو الجلد الى الجلد لما اختلف اللفظان ، وروى الأزهري عن الليث قال : ولا يقال مسجد الجامع ، ثم قال : النحويون اجازوا جميعاً ما أنكره الليث ، والعرب تضيف الشيء الى نفسه والى نعته اذا اختلف اللفظان كما قال تعالى [ـ وذلك دين القيمة ـ] ومعنى الدين الملة كأنه قال ، وذلك دين الملة القيمة ، وكما قال تعالى ـ وعد الصدق • وعد الحق ـ وما علمت احداً من النحويين ابى اجازته غير الليث ، قال : وانما هو الوعد الحق • والمسجد الجامع • والصلاة الأولى ، اهـ •

اقول : وقد اصطلح اهل العلم من السلف والخلف على لفظ [المسجد الجامع] لكل مسجد تقام فيه الجمعة ، وما اقتصر على الصلوات الخمس بقي على التسمية المطلقة ـ المسجد ـ ثم اختصر الناس ـ المسجد الجامع ـ فقالوا ـ الجامع ـ ويريدون المسجد الجامع الى يومنا هذا ، قال العلامة الزركشي [الصلاة في الجامع افضل من المسجد الصغير لكثرة الجماعة] ، وفي الأوسط للطبراني عن زهير بن عباد الرؤاسي : ثنا عبدالله ابن محمد التميمي عن يوسف بن زناد عن نوح بن ذكوان ، حدثني عطاء ابن ابي رباح ، حدثني نافع عن ابن عمر ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اصلاة في المسجد الجامع تعدل الفريضة حجة مبرورة والنافلة بحجة متقبلة ، وفضلت الصلاة في المسجد الجامع على ما سواه من المساجد بخمسمائة صلاة ، لا يروي هذا الحديث عن نافع الاعطاء ولا عن عطاء الانوح ، تفرد به زهير ، قال في مجمع الزوائد ، وقد اخرج الحديث عن الطبراني في

الأوسط ، قال نوح بن ذكوان ضعفه ابو حاتم[1] ، قلت : والحديث الضعيف له مجال في فضائل الأعمال .

ويجـــوز

ويجوز بناء المطاهر بالقرب من المساجد والتوضئة منها ، وقد روى ابو عبدالله بن بطة في كتاب اتخاذ السقاية في رحبة المسجد من جهة عبدالرزاق ، قال : حدثنا الثوري عن المقدام بن شريح عن ابيه عن عائشة قالت : كن المعتكفات اذا حضن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراجهن من المسجد ، وان يضربن الأخبية في رحبة المسجد حتى يطهرن[2] ، وفي كتاب الطهور ، لأبي عبيد عن ابراهيم النخعي قال : كانوا يتطهرون من مطاهر المساجد قال العلامة الزركشي وروي فعل ذلك عن الامام علي رضوان الله عليه .

قلت : والرحبة ساحة المسجد الخارجة عنه ، قال ابن منظور[3] : الرحب بالضم السعة ورُحب الشيء رُحباً ورحابة فهو رحب ورحيب ورحاب وارحب اتسع ، ورحبت الدار اي اتسعت ، قال ابن الاعرابي والرحبة ما اتسع من الأرض وجمعها رحب مثل قرية وقرى ، وقال الليث معنى قول العرب مرحباً : انزل في الرحب والسعة ، واقم فلك عندنا ذلك .

ورحبة المسجد والدار بالتحريك ساحتهما ومتسعهما ، قال سيبويه : رحبة ورحاب ، كرقبة ورقاب ، اقول : وفي حديث عائشة رضى الله عنها المتقدم حجة في ان رحبة المسجد ليست من المسجد والا لما جاز اقامة الحيض فيها كما لم يجز اقامتهن في المسجد ، وللزركشي كلام مسهب نقل فيه اقوال ائمة الفقه ومذاهبهم ، في كتابه اعلام الساجد ص ٣٤٦ ولعل فيما ذهبنا اليه الكفاية لأولى البصائر والأبصار .

---

(١) اعلام الساجد ص ٣٧٦ .
(٢) اعلام الساجد ص ٣٧٦ .
(٣) لسان العرب ، ج ١ ص ٤١٣ .

تعدد المساجد الجامعة
في البلد الواحد

لم يكن في المدينة المنورة دار هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الا مسجد جامع واحد هو مسجد النبي ، وكذلك الحال في عهد الخلفاء الراشدين ، وكلما كثر المسلمون وسع المسجد النبوي ، وكذلك من بعدهم حتى صار بالسعة التي عليها الآن[1] ، ولا تزال اكثر المدن في الحجاز بل وفي الجزيرة العربية تقام فيها الجمعة في مسجد جامع واحد الا ما اقتضت الضرورة الى مسجد او مساجد جامعة حسب سعة البلد وكثرة المصلين فيه والضرورة تقدر بقدرها .

قال ابن المنذر ، لم يختلف الناس ان الجمعة لم تكن تصلى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين الا في مسجد النبي ، قال ، وفي تعطيل الناس مساجدهم يوم الجمعة ، واجتماعهم في مسجد واحد، ابين البيان بان الجمعة خلاف سائر الصلوات ، وانها لا تصلى الا في مكان واحد .

وقال احمد بن علي الخطيب البغدادي في الجزء الأول من تاريخ بغداد ص ١٠٩ ، فلم تكن صلاة الجمعة تقام بمدينة السلام الا في مسجدي المدينة والرصافة ، الى وقت خلافة المعتضد فلما استخلف المعتضد امر بعمارة القصر المعروف بالحسني على دجلة في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م وانفق عليه مالاً عظيما ، وهو القصر المرسوم بدار الخلافة ، الى ان قال : وكان الناس يصلون الجمعة في الدار ، ويقول : واستقرت صلاة الجمعة ببغداد في المساجد الثلاثة التي ذكرناها ـ اهـ وقال الامام السبكي ـ ان دمشق من فتوح عمر الى اليوم وهو شهر رمضان ٧٥٦ هـ/١٣٥٥م لم يكن في داخل سورها الا جمعة واحدة ، وقال العلامة الشربيني الشافعي في شرح مغني

(١) أنظر ص ٨٠ من كتابنا ـ الذكرى الخالدة ـ وما بعدها .

المحتاج معللاً القول في الأكتفاء بمسجد واحد جامع في البلد الواحد ـ ولان الأقتصار على واحدة ـ اي جمعة واحدة ـ افضى الى المقصود من اظهار شعائر الأجتماع ، واتفاق الكلمة ـ اهـ[1] .

اقول : ورأى السلف الصالح في الأكتفاء بمسجد جامع واحد في البلد الواحد رأي وجيه ، يدل على بعد نظرهم في مصالح الأمة بوحدتها ، وانتفاعها بمجتمعهم الواحد في مكان واحد يستمعون الى خطيب واحد قل ان تجتمع في مثله قدرة التعبير الكلامي ، والتوجيه الديني ، وتعليل الحوادث الاسبوعية بما يحفز المستمعين الى النهوض للأخذ بها ان كانت صالحة ، ودرأها ان كانت فاسدة ، ولا سيما اذا كان الذي يقيم الجمعة امير البلد الذي ينفذ الأحكام ويقيم الحدود ، وهو من الحاذقين العارفين .

واما الخلف الذين لم يروا بأساً بتعدد المساجد الجامعة في البلد الواحد، فانهم نظروا الى ما تقتضيه سعة البلد ، وكثرة اهله وتباعد اطرافه ، والى المشقة المتأتية من دعوة الناس الى اقامة الجمعة في مسجد جامع واحد ، وفيهم الضعفاء الذين يشق عليهم بُعد المسافة الى اداء فريضة الجمعة ، فرخصو بتعدد المساجد الجامعة على قدر الحاجة اليها .

قال الأمام علاء الدين بن مسعود الكاساني الحنفي في الجزء الأول من كتابه ـ بدايع الصنائع ـ ص٢٦١ ما نصه [وروى محمد عن ابي حنيفة] انه يجوز الجمع في موضعين أو ثلاثة او اكثر من ذلك ، الى ان قال : فانه روى عن علي رضى الله عنه انه كان يخرج الى الجبانة في العيد ويستخلف في المصر من يصلي بضعفة الناس ، وذلك بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم ، ولما جاز هذا في صلاة العيد ، فكذا في صلاة الجمعة لأنها في اختصاصهما بالمصرسيان ولأن الحرج يندفع عند كثرة الزحام بموضعين غالباً ، فلا يجوز اكثر من ذلك ، وما روى عن محمد من الأطلاق في ثلاثة

---

(١) فصلنا هذا في كتابنا ـ بغداد دار السلام ـ معد للطبع .

مواضع محمول على موضع الحاجة والضرورة ـ اهـ .

وفي الجزء الثاني ص٣٣٤ من المغني لعبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة المالكي ما نصه ـ واذا كان البلد كبيراً يحتاج الى جوامع فصلاة الجمعة في جميعها جائزة ـ عقب على هذا بقوله ـ وجملته ان البلد متى كان كبيراً يشق على اهله الأجتماع في مسجد واحد ، ويتعذر ذلك لتباعد اقطاره ، او ضيق مسجده عن اهله كبغداد واصبهان ونحوهما من الأمصار الكبار جازت اقامت الجماعة فيما يحتاج اليه من جوامعها ـ الى ان قال ـ وقد ثبت ان علياً رضى الله عنه كان يخرج يوم العيد الى المصلي ويستخلف على ضعفة الناس ابا مسعود البدري فيصلي بهم ـ وقال ـ واما مع عدم الحاجة فلا يجوز في اكثر من واحد ـ اهـ وجاء في مغني المحتاج للخطيب الشربيني الشافعي شارح المنهاج للأمام النووي الشافعي في الجزء الأول ص ٢٨١ عند قول النووي ـ الا اذا كبرت [اي المدينة] وعسر اجتماعهم في مكان ـ فقال الشارح ـ بأن لم يكن في محل الجمعة موضع يسعهم بلا مشقة ، ولو غير مسجد فيجوز التعدد للحاجة بحسبها لأن الأمام الشافعي رحمه الله دخل بغداد واهلها يقيمون بها جمعتين وقيل ثلاثاً فلم ينكر عليهم ، فحمله الأكثرون على عسر الأجتماع ـ اهـ .

قال الروياني ـ ولا يحتمل مذهب الشافعي غيره ، وقال الصيمري وبه افتى المزني بمصر ، والعبرة في العسر بمن يصلى كما قاله شيخي ، لا بمن تلزمه ولو لم يحضر ، ولا بجميع اهل البلد كما قيل بذلك ـ اهـ .

اقول : ومن هذه الأقوال وتلك الصادرة من اهل العلم في الفقه في امهات كتبهم المأخوذ بها يظهر مراد الطرفين من الاقتصار على مسجد جامع واحد في البلد الواحد ، ومن السماح بالتعدد فيه اذا ما اقتضت الضرورة ، ومست الحاجة ، والكل منهم يريد وجه الله وصالح الأمة فيما ذهب اليه ، ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون .

المعابد والمقابر

وجدت المعابد لتخصيص الله تعالى بالتوحيد والتقديس ، والخضوع والأمتثال فيما يتعبد فيه المتعبدون الذين يقرؤن في كل ركعة من صلواتهم ـ اياك نعبد واياك نستعين ـ اي لا نعبد الا اياك ولا نستعين الا بك ، على ان تقديم المفعول على الفعل يفيد الاختصاص والحصر ، بمعنى نخصك بالعبادة والأستعانة ونحصرهما فيك .

يضاف الى هذا قوله تعالى ـ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا[1] ـ حيث اكد سبحانه بان المفيدة للتأكيد على ان المساجد التي هي مواقع السجود له لا لغيره ، ولزيادة التأكيد اتى بلا الناهية عن دعوة احد معه عز وجل ، قال العلامة المفسر الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي في الجزء التاسع والعشرين ص ٨٥ من تفسيره ـ مجمع البيان ـ في قوله تعالى ـ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا ـ تقديره ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً سوى الله ، عن الخليل والمعنى لا تذكروا مع الله في المواضع التي بنيت للعبادة والصلاة احداً على وجه الأشراك في عبادته كما تفعل النصارى في بيعهم ، والمشركون في الكعبة ، قال الحسن من السنة عند دخول المساجد ان يقال ، لا اله الا الله لا ادعو مع الله احدا ، الى ان قال ، وروى عن الحسن ايضاً ، ان المساجد الصلوات ، وهي لله والمراد اخلصوا لله العبادة واقروا له بالتوحيد ، ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيبا ، اهـ .

اقول : وهذه بعض الآيات التي تخصه تعالى بالدعاء تأكيداً على تأكيد ، ليتبين للناس ما نزل اليهم ، ووجب عليهم ، قال سبحانه وتعالى [بل اياه تدعون[2] ـ ، ـ اليه ادعو واليه متاب[3] ـ ، قل انما ادعو ربي ولا اشرك

---

(١) الجن : آية ١٨ .
(٢) الانعام ـ ٤١ .
(٣) الرعد ـ ٣٦ .

به احدا[1] ـ ، ـ واذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون الا اياه[2] ـ ، ـ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ، ولا انفسهم ينصرون[3] ـ] .

ومن تصفح كتاب الله القرآن الكريم ، وعد الآيات التي فيها كلمة ـ دعا ـ وما اشتق منها لنافت على[٢٠٩] آيات بينات منها ـ ٨٤ ـ في الدعاء او تزيد ، لسلم عن عقيدة وايمان بان المختص بالعبادة والدعاء والأستعانة في السراء والضراء هو الله تعالى وانه هو السميع المجيب .

فهم السلف الصالح هذا بعد قراءته او سماعه قراءة وسماع من يعشق الفهم لأزالة الغموض الذي قد يكلكل على بعض الألفاظ والتعابير ، ويطمس الحقائق التي جاء بها الدين ، ودل عليها العقل السليم ، ويدعها في زوايا الاهمال ، وطيات النسيان ، فحرصوا على ان لا تكون المعابد الا لهذا الذي شيدت له ، واقيمت عليه ، فجردوها عن كل ما يشغل المتعبد عن اختصاص ما يتعبد به لله وحده وعياً وفهماً ، حساً ومعنىً ، ومنعوا ان تبنى المعابد على المقابر ، او ان يدفن فيها بعد تشييدها ، وكرهوا الصلاة فيها ، وشددوا الكراهة اذا ما كانت المقابر امام قبلة المتعبد من غير حائل يحول بينه وبينها ، مخافة ان يشغل المتعبد بما يصرفه عن العبادة الخالصة المخلصة ، وادعوه مخلصين له الدين[4] .

وهذا لقوله صلوات الله وسلامه عليه [ـ قاتل الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد[5] ، ـ اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره

---

(١) الجن ـ ٢٠ .
(٢) الاسراء ـ ٦٧ .
(٣) الاعراف ـ ١٩٧ .
(٤) الاعراف ـ ٢٩ .
(٥) رواه البخاري ومسلم .

مسجداً ثم صوروا تلك الصور ، اولئك شرار الخلق عند الله ـ[1] قال هذا لما سمع بعض نسائه يذكرن كنيسة في ارض الحبشة ويصفن حسنها وما فيها من قبور وتصاوير لمنع ان تبنى المساجد على هذا .

وفي الباب احاديث صحيحة كثيرة اكتفينا بهذين الحديثين الصحيحين للدلالة على حكم الأسلام في بناء المساجد وايجادها ، وكيف يجب ان تكون عليه ، ومن تتبع الهدى النبوي اتضح له هذا وضوحاً لا غموض فيه ، ولا ابهام ، وتبين له انه صلى الله عليه وسلم كان يحذر امته من سوء صنيع الأمم التي قبلها في اتخاذ مع الله من يعظمونه وينسبون اليه ما لله وحده ، فضلوا واضلوا سواء السبيل ، وتحكم في مصائرهم الذين اشرب في قلوبهم حب الرياسة والسيطرة لا يهمهم الا اشباع رغباتهم الممقوتة ، وشهواتهم الدنيئة ، سعدت الأمة او شقيت ما داموا في بحبوحة من العيش الرغيد ، وما دامت مصالحهم الشخصية لا تمس بسوء ، وهم عن الحق لناكبون .

والمراد المتبلور من الفهم الصحيح لمنطوق هذه الأحاديث النبويـة ان اتخاذ المقابر في المساجد للصلاة عليها او اليها هو موضوع البحث ، هـذه بعض اقوال اهل العلم في معنى الأتخاذ المذكور في الأحاديث المانعة ، قال ابن حجر الهيتمي في الزواجر المحرقة ج ١ ص١٢١ [واتخاذ القبر مسـجداً معناه الصلاة عليه ، او اليه] .

اقول : وهذا المعنى المتقدم من كلام ابن حجر هو الذي تدل عليه احاديث المنع ، لوضوح قوله صلى الله عليه وسلم الـذي رواه الطبراني في المعجم الكبير ـ لا تصلوا الى قبر ، ولا تصلوا على قبر ـ وفي صحيح مسلم انه صلوات الله وسلامه عليه قال ـ لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها ـ قال العلامة المفسر البيضاوي لما كانت اليهود يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ، ويجعلونها قبلة ، ويتوجهون في الصلاة نحوها ، فاتخذوها اوثاناً

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

لفهم الله ، ومنع المسلمين عن مثل ذلك ، ونهاهم عنه ـ اهـ .

وقد اوضح الأمام الشافعي بما هو ابين حكماً ، واعم دلالة حيث قال في كتابه الأم ج ١ ص ٢٤٦ واكره ان يُبنى على القبر مسجد ، وان يسوى او يصلى عليه ، وهو غير مستوى ، أو يصلى اليه، قال : وان صلى اليه اجزأه، اخبرنا مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :ـ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ـ قال : واكره هذا للسنة والآثار، اهـ وقال العلامة المحقق الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي الحنفي في كتاب ـ الكوكب الدري ، على جامع الترمذي ـ ص ١٥٣ ما نصه ـ واما اتخاذ المساجد عليها ـ اي على المقابر ـ فلما فيه من التشبه باليهود ، واتخاذهم مساجد على قبور انبيائهم وكبرائهم ، ولما فيه من تعظيم الميت وشبه بعبدة الأصنام لو كان القبر في جانب القبلة اكثر من كراهة كونه يميناً او يساراً وان كان خلف المصلي فهو اخف من كل ذلك ، ولكن لا يخلو من كراهة ، اهـ .

اقول : هذه بعض اقوال أئمة المسلمين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمفكرين ، ومثلها معها في المراجع الدينية والعقائدية التي بين ايدينا حيث امعنا النظر فيها ، واعملنا الفكر في مفهومها ومدلولها ، وبذلنا الجهد لمعرفة المراد منها وحرصنا على استنباط ما يحل رموز هذه المسألة المهمة التي اتخذ منها الذين لا يعلمون ذريعة لبطلان الصلاة في المساجد الموجود فيها قبر ولم يفرقوا بين القبر المكشوف والقبر المستور الذي بينه وبين المصلي حائل يحول دون رؤيته ، والنظر اليه ، والصلاة اليه او عليه ، وهم في زعمهم متخبطون ، وفي وديان الأوهام هائمون ، ويقولون ما لا يعلمون .

هذا : وقد تبلور واضحاً جلياً مما يجب ان تكون عليه المساجد ويقوم به الساجد ، ثلاث مسائل .

الأولى : تنزيه المساجد عن كل ما يشغل المصلي عن صلاته ، ويفقده

الخشوع فيها .

الثانية : ان لا تكون المساجد مقابر يصلي عليها المتعبد او اليها ، فيفقد تخصيص الله بالعبادة والأستعانة والدعاء وحصرها فيه ، مع مخالفته لما يكرر في صلواته كلها من قوله تعالى – اياك نعبد واياك نستعين – .

الثالثة : ان الصلاة غير باطلة ولا محرمة في المساجد التي فيها قبر اذا لم يقصد المصلي الصلاة على القبر او الى القبر ، وهذا ما لا يقصده احد من المسلمين المصلين لله تعالى ، ولو سألنا اي مصلي لمن يصلي ولمن يتعبد لقال في الحال ومن غير تردد ، لله وحده لا شريك له ، والصلاة على هذا صلاة مقبولة لا بطلان فيها ، ولا شرك معها ولا ضلال ولا تضليل ، وهم في صلاتهم قائمون ، وعن الشرك مبتعدون ، ولله قانتون .

يضاف الى هذا ان المساجد التي شاهدناها في بلاد العالم الأسلامي لم يظهر في مصلاها قبر يصلي الناس عليه ، او اليه ، وعلى هذا كل مساجد البلاد الأسلامية ، واذا كان في بعضها قبر او اكثر فانها مستورة غير ظاهرة في المصلى ، وبينها وبينه حائل من الجدر الحائلة بين المصلي ورؤيته لها ، وان جهور اهل العلم لم يمنعوا الصلاة في مثل هذه المساجد التي وصفنا مصلاها ، ولم يحرّموا الصلاة فيها ولم يبطلوها على ما مر من اقوالهم المثبتة في هذه الكلمة الوجيزة ، على ان الأحوط المحبوب ان تجرد المساجد عما لم تبن له ، وارجو ان اكون عند حسن ظن الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وهم عن الظنون السيئة مبتعدون ، وعن الأوهام مجردون ، وفي حكمهم منصفون ، يقولون انا الى ربنا منقلبون ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وانت خير الفاتحين .

احداث المعابد

منذ ان وجد الأنسان على وجه البسيطة بفطرته التي فطره الله عليها مال الى التدين والعبادة عن طريق الأرشاد والتذكير ، او عن طريق الترغيب

والترهيب ، او عن طريق الوازع النفسي او الوراثة ، بنى بيوتاً يلتجىء اليها ، ويأمها لأداء واجبه الديني ، وميله الفطري ، واطلق عليها ما يليق بها من اسماء التعظيم والتفخيم ، لتتميز عن غيرها من البيوت ، ونزهها عن كل ما يخل بقدسيتها ، وينحط من كرامتها ، ويسيء الى سمعتها ، وجردها عن كل شيء سوى العبادة والطاعة وما يدعو اليهما ، والى المنافع العامة التي بها ينتفع الناس وبها ينفعون ، واهتم في بنائها ونظامها وانتظامها ، وزخرفها بما لا يشغل النفس عن ذكر الله تعالى وتمجيده وتوحيده ، لتكون خير بيوت لخير اعمال يقدم بها لانسان الى خالقه العظيم ، يوم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون .

وعلى مر الازمان ، وتحولات اهلها وميولهم زودت هذه المعابد بهياكل وتماثيل اكراماً لأهلها ، وتقديراً لخدمات من مثلوا بها ، ودعوة للغير الى الأقتداء بهم في جميل المآثر ، وصالح الاعمال ، او تشير الى هيئة مخلوقات اخرى محترمة لديهم وكثيراً ما كانوا ينسبون اليها خير العالم وسعادته ، وربما كانت عبادة بعضها اتقاءً لشرها على زعمهم وهم في غيهم يترددون .

ولم يمض وقت طويل على هذه الفكرة الخاطئة ، وهذا الاتجاه الخاسر حتى تطورت ، وافرغت في قالب غير قالبها الاول ، فمال الاكثرون الى عبادة هذه التماثيل والهياكل والطواغيت وأشركوها مع الله تعالى ولقبوها بألقاب ما انزل الله بها من سلطان ورووا عنها اكاذيب وخرافات ، ونسبوا اليها انواع الخوارق التي تحظى لدى البسطاء والسذج بالقبول عن عقيدة تقليدية او هي من بيت العنكبوت ، وانتحلوا لهم الأعذار الواهية ليبرروا اتجاههم الفاسد ، واعتقادهم الكاسد ، فتارة يقولون ـ ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى[1] ـ واخرى يقولون ـ انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ـ[2] وامثال هذه الحجج التي لا تغنى عن الحق شيئاً .

---

(١) ٣٠/الزمر/آية ٣ .
(٢) ٤٣/الزخرف/٢٣ .

فتحولت هذه المعابد الى معارض من التماثيل والهياكل المتقنة الصنع والمزينة بزينة الأغراء والتضليل ، على حجوم مختلفة ، وصور متباينة شتى وعلقوا عليها التصاوير ، وافرغوا جل جهودهم في اتقان صنعها وبهرجتها بكل ما اوتوا من حول وقوة ، حتى صارت تأخذ بمجامع قلوب الداخلين اليها وتشغلها عن التفكر بآلاء الله تعالى وعظمته ، فتميل عن ذكره وتقسوا وتنصرف عنه ، بما امتلأت به ، وانصرفت اليه ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه[1] وانما هو قلب واحد فاذا انصرف الى الضلال اتجهت جميع اعضائه الى ما اتجه اليه ، فهوى في النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيا .

هذا : ولم تخل هذه الأزمنة المظلمة بظلام الضلال عن داعٍ الى الحق ومرشد الى الصواب ، ومدل على التوحيد ، بل كان النضال شديداً بين الانبياء وهؤلاء الغواة على ما يتضح مما قصه الله تعالى علينا في كتابه العزيز حيث قال حكاية عن قول الانبياء والمرسلين للأمم الضالة ـ واتل عليهم نبأ ابراهيم ، اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نعبد اصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم اذ تدعون ، او ينفعونكم او يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون[2] ، قل افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ، افٍ لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون[3] .

وقال ـ ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب[4] ـ وقال ـ والذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين[5] وامثال هذه الآيات الكريمات التي كان فريق من الناس

---

(١) ٣٣/الاحزاب/٤ .
(٢) ٢٦/الشعراء/آية ٧٠ الى ٧٤ .
(٣) ٢١/الانبياء/آية ٦٧ .
(٤) ٢٢/الحج آية ٧٣ .
(٥) ٧/الاعراف آية ١٩٤ .

يؤمنون بها عن عقيدة قائمة على الفهم الصحيح ، والادراك السليم ، وآخرون يذعنون عن طمع ورجاء او خوف ، وهؤلاء سرعان ما يرجعون عما اذعنوا له متى ما ذهب الخوف وانهار الرجاء ، وايسوا مما طمعوا فيه ، وفريق كذبوا وسلقوا الدعاة بالسنة حداد ، وبسطوها بالسوء ، عن بلاهة وجهل ، وآخرون من ورائهم عاندوا عن كبرياء لحاجة في انفسهم يريدون قضائها من وراء هذا العناد وتلك الكبرياء ابقاءً على السلطة التي تجر لهم المغانم ، وتبقيهم في نعيمها البائد ، على ما يتضح مما حكاه الله عنهم حيث قال حكاية عن قولهم – انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون –[1] وقال – ما نراك الا بشراً مثلنا ، وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين –[2] وقال – وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن وداً ولا سوعا ولا يغوث ويعوق ونسرا –[3] ومثل هذه الآيات الكريمات التي اظهرت عنادهم وكبرياءهم حتى ماتوا وهم كافرون .

استمرت الحالة على هذه المجادلات والمحاولات قروناً كثيرة تتخللها ايام صلاح وسنوات اصلاح يتقد نورها تارة ويخبو اخرى حتى بزغت شمس الاسلام في سماء هذا العالم الحائر في مصيره ، وتألق نجمه الساطع المضيء في اجوائه ، فاتجهت انواره نحو المعابد المخيم عليها ظلام الضلال ، فانكشف ما بها ووضح لذى عينين ، فاذا به امام امر مريع ، وخطب فضيع ، وحالة مؤلمة ، يراها قد امتلأت بالهياكل والتماثيل والتصاوير ، ورعاع الناس متكدسون حولها يطلبون منها ما بيد الله وحده ، ويذبحون لوجهها ويطوفون حولها ويتبركون ويلوذون ، وهم في غيهم يعمهون .

هنا وقف الاسلام غطبان اسفا ، واخذت سورة غضبه تتسع لتأخذ هذه الاباطيل اخذ عزيز مقتدر ، وتدعها حصيداً جرزا ، وهشيماً تذروه الرياح ،

---

(١) ٢٣/المؤمنون آية ٤٧ .
(٢) ١١/هود آية ٢٧ .
(٣) ٢٨/نوح آية ٢٣ .

فسل حسام الهدى ، وباد به الضلال وهدم بمعول الحق تماثيل البطلان ، ومحابيد التوحيد صور الأشراك ، فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا باديلنا قد كنا في غفلة من هذا ، بل كنا ظالمين ، وصوت الحق يجلجل في الفضاء كالرعد القاصف ، انكم وما تعبدون حصب جهنم انتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها خالدون .

وبعد هذا جعل للمعابد انظمة وقوانين اوجب رعايتها والسير عليها وانكر على المخالفين لها ولم يوجب العبادة في بناء خاص او مكان معين ، بل جعل الأرض كلها صالحة لأقامة العبادة في اي بقعة فيها خالية من الرجس والنجاسة ومن غير ضرر واذى يلحق الغير بالغصب والقوة . على ما يظهر من قوله عليه الصلاة والسلام ـ فضلت على الأنبياء بست . اعطيت جوامع الكلم . ونصرت بالرعب . واحلت لي الغنائم . وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً . وارسلت الى الخلق كافة ، وختم بي النبيون[1] . كما حبذ بناء المعابد ودعا اليه ، ووعد بناتها بالاجر الجزيل ، والثواب الكبير اذا ما قصدوا في اقامتها وجه الله تعالى وخدمة دينه ، ونشر مبادئه ، وجردها عما يصرف المتعبد عن الذي بينت له على ما سيأتي تحقيقه .

ونظامها ينحصر في توحيد الله تعالى في كل ما يتعبد به او يتقرب اليه ، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته العلية ، بدليل قوله تعالى ـ وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا[2] ـ ، ـ قل امر ربي بالقسط ، واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين[3] ـ ، وآية ، ـ اياك نعبد ، واياك نستعين[4] ـ التي تكرر في كل ركعات الصلوات ابين البيان على

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الجن : آية ـ ١٨ .
(٣) الأعراف : آية ـ ٢٩ .
(٤) الفاتحة ١/٥ .

وجوب تخصيص الله تعالى بالعبادة والاستعانة دون غيره ، اد تقديم المفعول يفيد الحصر على ما قررته كتب اللغة واقره اللغويون ، وسيأتي المزيد من هذه النظم الواجب اتباعها في الابحاث الآتية ان شاء الله رب العالمين .

بناء المعابد والأعتناء بنظافتها

في الاسلام

لم يكن للمسلمين في مكة مسجد خاص لعبادتهم قبل الهجرة ، بل كانوا يتعبدون الله تعالى مجتمعين في المكان الذي يجتمعون فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم لتلقي دروس الاسلام والدعوة اليه ، وقليلا ما كانوا يؤدون العبادة في المسجد الحرام فينالون الاذى من المشركين وهم صامدون ، صابرون ، محتسبون ، حتى كانت الهجرة الى المدينة المنورة ، واجتماع المسلمين المهاجرين بالانصار من الاوس والخزرج الذين يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في نفوسهم حاجة مما اوتو ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فتنفس المسلمون الصعداء وهم ملتفون حول هاديهم وقائدهم ، وباشروا ببناء المعابد بأمر من النبي عليه الصلاة والسلام ، وأول مسجد بني في طريق الهجرة مسجد قباء ، واول عمل قام به صلوات الله وسلامه عليه ، في المدينة المنورة ان بنى مسجده الشريف على ما يأتي بيانه ، ثم امر ان تبنى المساجد في الديار يؤمها اهلها لأداء واجباتهم الدينية ، واصلاح حالتهم الدنيوية ، فيتزودون من يانع اثمارها ، ويستقون من عذب مائها ، ما يوصلهم الى مبتغاهم بسلام آمنين .

واوجب نظافتها صيانة لها من الاقذار والاوساخ التي تتنافى ومراد الاسلام من الدعوة الى بناء المساجد وعمارتها ، فقال عليه الصلاة والسلام

ـ ابنو المساجد واخرجوا القمامة[1] منها[2] ـ الحديث وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال ـ امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتخذ المساجد في ديارنا ، وامرنا ان تنظفها[3] وعن ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت ـ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور ، وان تنظف وتطيب[4] ـ .

قلت : وهنا مجاز بالحذف لان قوله صلى الله عليه وسلم ـ في الدور أو في الديار ـ وكلاهما جمع دار يريد الاماكن التي فيها الدور أو الديار كقوله تعالى ـ واسأل القرية ـ أي أهل القرية ، قال الامام البغوي رحمه الله في شرح السنة يريد المحال التي فيها الدور ومنه قوله تعالى ـ سأوريكم دار الفاسقين ـ لانهم كانوا يسمون المحلة التي اجتمعت فيها قبيلة داراً ، ومنه الحديث ـ ما بقيت دار الا بني فيها مسجد ـ ، وجاء في شرح المشكاة ، الدور المذكورة في الحديث جمع دار وهو اسم جامع للبناء ، والعرصة ، والمحلة ، والمراد المحلات فانهم كانوا يسمون المحلة التي اجتمعت فيها قبيلة دارا .

فمن هذا يتبين شدة حرص الاسلام على الاعتناء ببناء المعابد ونظافتها اعتناء يليق بمقامها الرفيع ، ومكانتها السامية ، لأنها معدة لخير عمل يقوم به الانسان تجاه خالقه ونفسه من الناحية الدينية والمدنية ، فيجب ان تكون خير بيت معتنىً به يأوى اليه المؤمنون ، وفيه يجتمعون .

وعطف النظافة على الأمر ببناء المساجد لضرورة وجود النظافة حيث وجد المسجد ، فان المساجد اذا لم تكن نظيفة طاهرة دلت على استخفاف اهلها بأمرها ، وتهاونهم في القيام بواجبها ، وبالتالي صدودهم عنها ، وهذا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير .
(٢) القمامة ـ بضم القاف ـ الكناسة وزناً ومعنى .
(٣) رواه الامام أحمد والترمذي .
(٤) رواه الخمسة الا النسائي .

حال حرمه الاسلام واوعد عليه ، وجعل طهارة مكان المصلي شرطا لصحة اداء عبادته ، ليحتاط بأمر النظافة ، ويعتنى بها ، رجاء ان تكون عبادته مقبولة مرضية ، والا فهي وما فرضت العبادة لاجله على طرفي نقيض .

وأمر الاسلام ببناء المساجد في المحلات ونظافتها وتطييبها ، ليتيسر لأهلها اداء فروضهم الدينية جميعاً من غير عسر ولا مشقة ، وليتزودوا لآخرتهم بقليل من يومهم كما تزودوا اكثر يومهم لدنياهم ، وليجددوا عهود الولاء والاخاء فيما بينهم ، وليتعرفوا على من لم يكن بينه وبينهم معرفة ، ويمد الغني يد المساعدة الى المحتاج اليها ويغذوا قلوبهم بمـــا ينعشها من نعيم الروحيات الدائم ، كما غذوا اجسامهم من حطام الدنيا الزائل ، وبهـــذا يحصلون على سعادة الدارين ، لهم في الدنيا عز ووقار ، ولهم في الآخرة نعيم مقيم .

ولعل في هذا بلاغا وتذكرة لأولئك الذين اهتموا بانشاء المحـــال الجديدة واقاموا عليها بنايات وبنايات وهي من ضروريات الحياة المدنيـة وقوامها ، ولم يقدموا على انشاء مسجد جامع يجمع شملهم ، ويلم شعثهم ، حرصوا على دنياهم ، ولم يهتموا باخراهم ، عسى ان تجد الذكرى قلوبا واعية ، وآذانا صاغية ، عرفت الحق فهرعت اليه ، وفهمت القصد فأقامت عليه ، واصلحت الخطأ الذي ارتكبته ، واستقالت من الذنب الذي اقترفته ، باعادة ما فات ، واصلاح ما هو آت ، ليكونوا بهذا امنوا على انفسهم من الفساد وذراريهم من الالحاد ، وبلادهم من فوضى الاستبداد ، وسجلوا لهم حجة تنفعهم يوم التنـــاد ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله .

هذا : ولم يترك الاسلام جزاء من بنى مسجدا ومن قام بنظافته ، وصونه عن الاقذار كما لم يخف عقاب المستهينين بها ، بل ابان جـــزاء اولئك ، وعقاب هؤلاء بما لا يقبل الشك والتأويل فقال صلوات الله وسلامه عليه ـ من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة ـ رواه

البخاري ومسلم عن عثمان بن عفان ومثله روي عن الامام علي وعمر وانس بن مالك وابن عمر وواثلة بن الاسقع وعبدالرحمن بن صخر وعائشة واسماء بنت بريد وغيرهم من الآل والاصحاب رضوان الله عليهم اجمعين ، لا تخرج الاحاديث التي رووها عن بشارة القائمين بناء المساجد وبيان اجرهم عند الله وجزائهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

وروى البزار وغيره عن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ـ من بنى لله مسجداً قدر مفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً في الجنة ـ ومثل هذا روى عن ابن عباس وجابر بن عبدالله رضى الله عنهم بتفاوة في اللفظ واتحاد في المعنى ، اظهاراً لشدة حرص الاسلام على الدعوة الى بناء المساجد والاهتمام باقامتها ، وتشجيعا للمؤمنين والمؤمنات على الاقدام نحو فعل الخير ، وعمل البر ، ولو كان قليلا ، فان القليل من المعروف يعوض الكثير من الخير عند الله تعالى اذا قصد فاعله النفع الشامل ، والمصلحة العامة ابتغاء وجه الله تعالى بدليل هذا الحديث وتأييد قوله تعالى ـ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ، الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا اذىً لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[1] ـ .

اقول : وسبيل الله الجهاد لأعلاء كلمة الله ، وما يحتاج اليه الجهاد والمجاهدون في كل زمان ومكان ، وينطوي تحته ، ويتفرع منه ، كل عمل خيري يقصد به وجه الله ، وصالح المؤمنين ، كبناء المساجد ، والملاجىء الخيرية ، والمستشفيات والمدارس والجسور والقناطر وغيرها مما فيه نفع للناس ودفع الشر عنهم ، والوقاية لهم في الدنيا والنجاة يوم لا يضيع الله اجر من احسن عملا .

---

(١) البقرة ٢/٢٦١ .

من هم البانون المعمرون

ما كانَ للمشركينَ أن يعمروا مساجدَ اللهِ شاهدين على انفسهم بالكفرِ اولئك حبطت اعمالهم ، وفي النارِ هم خالدون ، انما يعمرُ مساجدَ اللهِ من آمن باللهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ ولم يخشَ الا اللهَ فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين .

التوبة ٩/١٧ - ١٨

حصر الاسلام في كتاب الله القرآن الكريم عمارة المساجد بمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، واما من لم يكونوا كذلك فقد نفى عنهم عمارتها لأنهم لو فعلوا فلابد لعملهم من حاجة في نفوسهم وقصد غير الذي تبنى المساجد له ، لقوله تعالى - ما كان للمشركين - الذين اتخذوا مع الله الهاً آخر - ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر - في اقوالهم وافعالهم ، - اولئك - الذين اشركوا بالله - حبطت اعمالهم - التي يحسبون انها ستوصلهم الى مقاصدهم - وفي النار هم خالدون - لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، انما يعمر مساجد الله - التي شيدت لتعظيمه ، وعبادته وتوحيده ، - من آمن بالله - ايماً مقروناً بالعمل الصالح الذي فيه النفع العام أو الفائدة الشاملة - وآمن - باليوم الآخر - ذلك اليوم الذي يعقب يوم الدنيا ليرى المؤمن ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ، (و) لم يكن هذا الاعتراف الايماني اللساني كافياً لان يكون قائله مؤمنا بلسانه ومصدقا بقلبه ، بل لابد من قيام الحواس الظاهرة والباطنة ومصاحبة للسانه ومصدقة لما في

قلبه بان ـ اقام الصلاة ـ وذاق شراب معنوياتها ـ وآت الزكاة ـ لمستحقيها لتسارع نفسه الى فعل الخيرات ، واقام المبرات ، فأمر بالمعروف ، واغاث الملهوف ، ـ ولم يخش ـ فيما قام به ، ودعا اليه ، عن عقيدة وايمان ـ الا الله ـ الذي بيده ملكوت السموات والارض وهو على كل شيء قدير ، واذا كان كذلك ـ فعسى اولئك ـ الذين قاموا بعمارة المساجد وهم مؤمنون بالله واليوم الآخر واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ولم يخافوا غير الله تعالى فيما قالوا وعملوا ـ ان يكونوا من المهتدين ـ الذين عرفوا الدين وما يرمي اليه ، ويدل عليه ، من المقاصد النافعة فاهتدوا الى مرافقة الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

والحكمة من نفي عمارة المساجد عن المشركين ، وحصرها بالمؤمنين هي ان من اشرك بالله شيئا لابد من انه يحبه كحب الله أو اشد حبا ، ويعظمه كتعظيم الله او اكثر تعظيما ، فاذا ما بنى مسجدا فما ان يضمر اشراك هذا المخلوق مع عبادة الخالق ولو من طريق خفي ، فيذهب مفعول الاسلام الذي جاء ليحرر الناس من ربقة الشرك ويوجههم الى التوحيد الذي بنيت المساجد له ، [وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا][1] .

واما ان لا يفعل ذلك ولا يضمره وهو لم يزل على اشراكه وكفره فيحال قصده الى الوقيعة بالمؤمنين ، والحط من كرامتهم ، والمن عليهم ، واذلالهم بنسبة الاحتياج الى المشركين والكافرين في بناء ما يؤدون فيه تعاليم دين ما رضيه المشركون لهم دينا ولا لكافرون وهذا ما نهى الاسلام المؤمنين عنه ، وحرمه عليهم ، بما خصهم من العزة التي تأبى ان يذلوا بالحاجة الى من ليس منهم ، ـ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون][2] وانهم لو صدقوا لآمنوا .

---

(١) الجن ١٨/٧٢

(٢) المنافقين : آية ٨/٦٣

وان من آمن بالله واليوم الآخر ايماناً دله على اقام الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتدعو صاحبها الى اغتنام فوائدها ، وتحصيل منافعها ، لا يرده عنها برد ولا حر ولا تلهية تجارة ولا بيع ، حيث عرف مراد الله تعالى من دعوته الى الصلاة وفرضها عليه ، فشمر عن ساعد العمل لهـا ، والدعوة اليها بكل ما استطاع اليه سبيلا ، وحبب اليه ايتاء الزكاة الدالـة على سخاء المؤمن بما انعم الله عليه من مال فبادر الى تنفيذ امره ، بمساعدة الفقراء والمحتاجين ، ولم يمنع الماعون ، فاعتادت نفسه على العطاء والبذل في سبيل ما يوصله الى مبتغاه بسلام ، وأمان ، وهو من المحسنين ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة سرا وعلنا ولم يخش ولم يخف في اقامة ما امره الله ودعاه اليه ، الا الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهذا هو الجدير بان يناط به امر بناء المسـاجد ويقبل منه تشييدها ، ولا يظن بـه ما يظن بالمشرك الكافر ، لتفاوة المقاصد بينهما تفاوة يجعل القصد من هذا وذاك ظاهرا بيناً لا يخفى على من له قلب واعي ولب يقظان ، وانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

من هم المخربون المانعون

وَمَن اظلمُ ممَن منَعَ مَساجِدَ اللهِ أن يذكرَ فيها اسمُهُ ، وسعى في خرابِها ، اولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين ، لهم في الدنيا خزيٌ ، ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ .

البقرة ـ آية : ١١٤

اولئك هم البانون المعمرون مساجد الله ، وتلك صفاتهم ، وذلك جزاؤهم ، وهؤلاء هم المخربون ، وهذا حالهم اذا ما ارادوا دخولها لحاجة في نفوسهم ، وهذا مصيرهم يوم الدين ، وعقابهم يوم تتقلب وجوههم في النار ، حيث نص سبحانه على عظم ظلم الذين يمنعون الناس ان يذكروا اسم الله في بيوته حقيقة بصد كل من يريد اعلاء كلمة الله والجهر بها في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، او حكماً بان صد عن رعايتها وتأثيثها ، وتزويدها بما يمكن للمتعبد ان يؤدي عبادته كما هي في أمان واطمئنان وخشوع ، ولم يرتب من يقوم بالعناية بها ، وام الناس فيها وتوجيههم الوجهة التي بنيت لها ، وشيدت لأجلها ، وسعى في خرابها حقيقة بالهدم والتخريب ، وحكماً باهمال تعمير ما خرب منها وانهار من بنائها ، وقد يطلق الخراب على خلوها من المتعبدين لاهمال موظفيها القيام بوجائبهم الدينية التي انيطت بهم ، وعول في اقامتها عليهم ، وما يجب ان تكون عليه المعابد من نظافة افنيتها وتطييبها وتهيئة ما هو ضروري الوجود للمتعبد الذي دخلها لاداء ما عليه من فرائض دينه وواجباته ، وهو من الخاشعين .

وهؤلاء القساة الطغاة الخونة ما كان لهم في يوم من الايام ان يدخلوا

هذه المساجد الا على حذر وخوف ، لانهم خانوا الامانة المودوعة لديهم ، وكل خائن خائف ، لذا اعد الله لهم في الدنيا خزي الخيانة ، وعار الاهمال بين الناس ، وفي الآخرة لهم عذاب عظيم جزاءً وفاقاً لما قاموا به من منع الناس عن ان يذكروا اسم الله ويعبدوه في بيوته ، وسعوا بكل ما استطاعوه من الكذب على الله ، والافتراء على الدين ، الضغط على دعاته ومحاربتهم بالمكر والخداع لشياطينهم الملحدين ، الذين ما زالوا ولم يزالوا عاملين على اطفاء نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

مسجد الضرار

لا تقم فيه ابدا

والذين اتخـــذوا مسجداً ضراراً وتفريقاً بين بين المؤمنين وارصاداً لمن حاربَ اللهَ ورسولَهُ من قبلُ ، وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، واللهُ يشهدُ إنهم لكاذبون ، لا تقمْ فيه ابداً ، لمسجدٌ اسسَ على التقوى من اولِ يومٍ احقُ أن تقومَ فيه ، فيه رجالٌ يحبونَ أن يتطهروا ، واللهُ يحبُ المطهرين ، أفمن اسس بنيانه على تقوى من اللهِ ورضوانٍ خيرٌ ام مَن اسسَ بنيانَه على شفا جرفٍ هارٍ فانهار به في نارِ جهنم ، واللهُ لا يهدي القومَ الظالمين ، لا يزالُ بنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم ، الا أن تقطعَ قلوبُهم ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ .

التوبة ـ ٩/١٠٧ ـ ١١٠

بنيت المساجد في الاسلام لتوحيد الله تعالى والدعوة الى سبيله القويم ،

وصراطه المستقيم ، ولتتوحد الامة في عقائدها ، وعباداتها ، ومعاملاتها وسلطانها ، ودولتها ، واتجاهها ، وتوجيهها ، ولتكون لله وحده في كل ما يقال فيها ويعمل ، واما اذا بنيت لتكون مقراً لشياطين الكفر والنفاق ، والالحاد ، وملجأً لأعوانهم ، ومنطلقا لدعوتهم ، وواجهة لستر ما يبيتون للأمة واقطابها ورجالاتها مما يمزق وحدتهم ، ويفرق جمعهم ، ويشتت شملهم ، ويمكن الكافر المستعمر من السيطرة عليها ، والاساءة اليها ، وهدم كيانها بمعاول التخريب ، وميداناً للغارة على سلف الأمة وخلفها بالطعن والدس والافتراء ، وأتوناً لايقاد نار الخلاف والشقاق اللذين ما دبا في امة الا وجعلها كعصف مأكول ، وهباء منثور ، وطعمة سائغة للطامعين الجياع الذين لا يرقبون في مؤمن ولا مؤمنة إلاً ولا ذمة ، وهم عن الحق لناكبون .

لهذا وذاك حذر الاسلام من ان تبنى المساجد لغير ما اراد الله تعالى ان تبنى له ، وانزل آيات بينات تحذر المؤمنين والمؤمنات من العواقب الوخيمة التي تنتظرهم اذا ما سكتوا وافسحوا المجال لمن يريد الكيد بهم ، والوقيعة لهم ، وتنهاهم عن الاقامة فيها ، والذهاب اليها ، ودعتهم الى هدمها ومحاربة شياطينها ما استطاعوا اليه سبيلا .

وتنذر اولئك الذين تنطلي عليهم خديعة المنافقين وخدعة النفاق من ان ينصاعوا الى دسائس هؤلاء فيقعوا في شباكهم ويصبحوا من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

وسببه ان جماعة من المنافقين كتب اليهم من الشام ابو عامر الراهب ان يهيئوا له ملجأً يلتجأ اليه اذا قدم الى المدينة بعد ان يحرض هرقل على قتال النبي ومن معه من المؤمنين ، وينتحلوا له اسم المسجد لدرأ الشبهة عنه ، وابعاد المظنة فيه ، فبنوا مسجداً من دار خذام بن خالد ، ولما كمل اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز للتوجه الى تبوك ، فقالوا

يا رسول الله انا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وانا نحب ان تأتينا وتصلي فيه ، وتدعو بالبركة ، فقال رسول الله اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه .

ولكن الله تعالى الذي نص على ان تكون المساجد له لا لغيره ، ونهى ان يدعى معه احد فيها بقوله سبحانه ـ وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا[1] ـ اطلع نبيه على ما بيته المنافقون له وللمؤمنين بالآيات المتقدمة ، حيث اخبر بان الذين بنوا مسجداً ليضاروا المؤمنين ، ويكفروا بنعمة الاسلام ، ويفرقوا بين اهله ، انتظاراً واعداداً لمن حارب الله في كفره ، ورسوله في عصيانه ، وهو أبو عامر الراهب الذي عادى النبي وكفر بما جاء به ، وقد جرى الحوار الآتي بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة .

ابو عامر ـ ما هذا الدين الذي جئت به .

النبي ـ جئت بالحنيفية دين ابراهيم .

ابو عامر ـ انا عليها .

النبي ـ انك لست عليها .

ابو عامر ـ بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها .

النبي ـ ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية .

أبو عامر ـ امات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريبا .

النبي ـ آمين .

وبعد وقعة حنين سنة ٨هـ ـ ٦٢٩م ونكوص هوازن على اعقابهم مندحرين خاسرين ، خرج ابو عامر الراهب الذي سماه الناس الفاسق ، هارباً طريداً وحيداً غريباً الى الشام وهكذا استجاب الله هذه الدعوة ومات ابو عامر طريداً وحيداً غريبا بعدما كان يحيك الدسائس والمكائد للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ، ويراسل المنافقين ويحرضهم على الاستعداد ،

---

(١) الجن/آية ١٨ .

ويعدهم بالرجعة للقضاء على الدعوة الاسلامية ، والانتقام من المسلمين فبنوا مسجد الضرار للغرض الذي كاتبهم عليه ابو عامر الفاسق ، فنزلت الآيات المحذرة منه ، والناهية عن الاقامة فيـــه ، والمنددة باولئك المنافقين الذين التمسوا العذر لانفسهم بالكذب والخديعة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الدحشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشياً ان ينطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله ويهدموه ويحرقوه ، فامتثلوا وفعلوا ما امرهـم النبي به ، ردعاً لهم ، واظهاراً لمنوياتهم ، وانذاراً لمن ينحو نحوهم في بناء المساجد والمعابد لغير ما هي له ، وتنبيهاً للمؤمنين والمؤمنات لئلا يقعوا في شباك وحبائل المنافقين المخادعين وهم عن كيدهم غافلون .

المعابد مبعث نور الله

اللهُ نورُ السمواتِ والارضِ مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباحُ في زجاجةٍ ، الزجاجةُ كأنهـــا كوكبٌ دريٌّ يوقدُ من شجرةٍ مباركةٍ زيتونـــةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكادُ زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نورٌ على نورٍ يهدي اللهُ لنوره من يشاءُ ، ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ واللهُ بكلِّ شيءٍ عليم .

في بيوتٍ اذنَ اللهُ أن تُرفعَ ، ويذكرَ فيهـــا اسمهُ يسبحُ له فيهـــا بالغدوِّ والآصالِ ، رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله واقامِ الصـــلاةِ وايتاءِ الزكاةِ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوبُ والأبصارُ ، ليجزيَهم اللهُ احسنَ ما عملوا ويزيدهم من فضلِهِ واللهُ يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حساب .

النور ـ ٢٤ آية ٣٨

أكد سبحانه وتعالى في هـــذه الآيات المحكمات انه نور السموات والارض ، يهتدي به من فيهما الى سبيل السعادة والطمأنينة والفلاح اذا ما اعتصموا بحبله ، واتبعوا سبيله ، واجتنبوا نهيه ، ولزيادة التأكيد شبه نور هدايته كمثل كوة ناصعة البياض غير نافذة لينحصر الضياء فيها فيعكس على المقابل بوضاءة واشراق في هذه الكوة مصباح وهاج تحيطه زجاجـــة صافية اللون ، زهراء كأنها كوكب دري لشدة صفاء ضيائها وحسنه ، فهي كالدرة المضيئة الساطعة ، وقود هذا المصباح من عصير شجرة كثيرة المنافع زيتونة بارك الله في زيتها المتخذ من ثمرها ، لا شرقية محضه ، ولا غربية خالصة ، بل هي بين مشرق الشمس ومغربها تستفيد جهتاها من حرارة الشمس المحيطة بها ليكون زيتها أكثر صفاء واعم نفعا ، واجود ضياء واحسن استنارة ، يقرب عصير زيتها ان يضيء لشدة صفائه ، ولو لم تمسسه نار الايقاد ، فاذا اجتمعا فهما نور على نور يهدى الله لنور توحيده من يشـاء من عباده الصالحين ، ويضرب الله الامثال للناس بان يشبه لهم الهداية بالنور الموضح للطريق ، والكاشف عنه دياجير الظلام بجامع السلامة في كلٍ من النور والهداية ، والله بكل شيء عليم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

وهذا النور الألهي الموصوف بتلك الصفة يشع ويسطع في بيوت هي المعابد التي يعبد الله فيها ويعظم وحده لا شريك له ، اذن الله ان يرفع بالتوحيد والتقديس وكل ما امر الله به ان يوصل ويذكر فيها اسمه دون غيره يسبح له وحده لا شريك له بالغدو والآصال ، والصباح والمساء ، رجال مؤمنون لا تلهيهم عن عبادته تجارة يخشون كسادها ، ولا بيـــع يأملون الربح منه عن ذكر الله تعالى اذا ما سمعوا داعي الله ينادي – حي على الصلاة . حي على الفلاح . بادروا الى الاجابة بلسان الطاعة والانقياد آمين بيوت الله لأداء فريضة الصلاة باقامة الصلاة المفروضة ، وايتاء الزكاة المستحقة برحابة صدر ، وامتثال امر ، ذلك لأنهم يخافون ويحذرون يوماً

تتقلب فيه القلوب والابصار لهول ما يرى فيه المخالف عن امره من سوء العاقبة التي تنتظره ، ليجزيهم الله العزيز الجبار المهيمن ، احسن ما عملوا من الباقيات الصالحات ، ويزيدهم من فضله الواسع العظيم ، والله يرزق هدايته من يشاء من عباده بغير حساب ، هذه هي بيوت الله مشع النور الألهي الهادي الى سعادة الدارين ، وهؤلاء هم اهلها وعمارها المتصفون بهـــذه الصفات الحسنة ، المتخلقون بهذه الاخلاق الطيبة ، لم يخافوا احداً ولم يهابوا فيما هم داعون اليه ، ومقيمون عليه ، الا الله العزيز المقتدر ، واما الذين نبذوا هذه المكارم ورائهم ظهرياً ، وجنوا عن الاقدام عليهـــا ، والتمسك بها ، فكفروا بنعم الله فأولئك ما ابان الله اعمالهم وبين عاقبتهم ، ورواهم حقيقة ما هم عليه ، بقوله سبحانه ـ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا اخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ـ .

اماطة الاذى عن المساجد

ودعوة الاسلام اليها

تلك دعوة الاسلام الى بناء المساجد بأحاديث اقترنت مع الدعوة الى نظافتها ، وهذه أحاديث انفردت بالدعوة الى طهارة المسجد ونظافته ، واجر من قام بها ، واماط الأذى عنها ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب .

قال صلوات الله وسلامه عليه ـ من اخرج اذىً من المسجد بنى الله

له بيتاً في الجنة[1] ـ وعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه انه قال ـ كانت سوداء تقم المسجد فتوفيت ليلا فلما اصبح رسول الله اخبر بها فقال (الا آذنتموني) فخرج باصحابه فوقف على قبرها فكبر عليها والناس خلفه ، ودعا لها ثم انصرف[2] ، ومثله روى عن ابن عباس وعبدالرحمن بن صخر وروى ابو الشيخ الاصفهاني عن عبيد بن مرزوق ، قال كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد فماتت فلم يعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فمر على قبرها فقال ما هذا ؟ فقالوا قبر ام محجن قال التي كانت تقم المسجد ، قالوا نعم ، فصف الناس فصلى عليها ثم قال اي العمل وجدت افضل ؟ قالوا يا رسول الله اتسمعك ، قال ما انتم باسمع منها ، فذكر انها اجابته قم المسجد .

وهذا ليهتم المؤمنون والمؤمنات بنظافة المساجد والاعتناء بها فأنهم متى ما عرفوا اجر هذا العمل الشريف سارعوا بكل قواهم لتحصيله ونيل شرفه وهم فرحون مستبشرون .

وقال صلى الله عليه وسلم ـ ان الله عز وجل بين ايديكم في صلاتكم فلا توجهوا شيئاً من الاذى بين ايديكم ـ الحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه وروى البخاري ومسلم وابو داود واللفظ له عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ـ بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوماً اذ رأى نخامة[3] في قبلة المسجد فتغيظ على الناس ثم حكها ، قال واحسبه قال فدعا بزعفران فلطخه به وقال ـ ان الله عز وجل قبل وجه احدكم اذا صلى فلا يبصق بين يديه ـ وروى ابن خزيمة في صحيحه عن ابي سعيد الخدري انه قال : ان رسول الله صلى الله

---

(١) رواه ابن ماجه عن ابي سعيد الخدري .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

(٣) النخامة بضم النون ما يدفعه الانسان من صدره .

عليه وسلم كان تعجبه العراجين[1] ان يمسكها بيده فدخل المسجد ذات يوم وفي يده واحد منها فرأى نخامات في قبلة المسجد فحتهن[2] حتى انقاهن ثم اقبل على الناس مغضباً فقال ـ ايحب احدكم ان يستقبله رجل فيبصق في وجهه ، ان احدكم اذا قام الى الصلاة فانما يستقبل ربه ، والملك عن يمينه فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه ـ الحديث ومثله روى ابن ماجة وابو داود عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما .

وقال صلى الله عليه وسلم معلناً جزاء من فعل هذا وكيف يجيء يوم القيامه ، ـ من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه ـ رواه ابو داود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، وروى البزار وابن خزيمة في صحيحه عن ابن عمر ان النبي قال ـ يبعث صاحب النخامة في القبلة يوم القيامة وهي في وجهه ـ ومثله روى الطبراني في الكبير من حديث ابي امامة .

هذا جزاء المأموم اذا وجه اذىً الى المسجد ، واما جزاء الامام اذا فعل فعله فقد ابانه صلى الله عليه وسلم فيما روى الطبراني في الكبير باسناد جيد عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى بالناس ـ الظهر ـ فتفل في القبلة وهو يصلي للناس ، فلما كانت صلاة العصر ارسل الى آخر فاشفق[3] الرجل الاول فجاء الى النبي فقال يا رسول الله أأنزل فيّ شيء قال : لا . ولكنك تفلت بين يديك وانت قائم تؤم الناس فآذيت الله والملائكة ـ ، وروى ابو داود وابن حبان في صحيحه عن ابي سهلة السائب بن خلاد من أصحاب النبي صلى الله عليه

---

(١) العراجين جمع عرجون وهو العذق الذي تقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا .
(٢) حتهن . قال الازهري الحت الفرك .
(٣) اشفق . خاف .

وسلم أن رجلا امّ قوماً فبصق في القبلة ورسول الله ينظر فقال رسول الله حين فرغ ـ لا يصلي لكم هذا ـ فأراد بعد ذلك ان يصلي لهم فمنعوه واخبروه بقول رسول الله فذكر ذلك لرسول الله فقال نعم وحسبت انه قال ـ انك آذيت الله ورسوله ـ .

وبعد هذا بين صلى الله عليه وسلم سبيل النجاة لمن اضطر الى هذا بقوله ـ البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ـ رواه البخاري ومسلم عن انس بن مالك رضى الله عنه وروى الامام أحمد عن ابي امامة ان النبي قال ـ التفل في المسجد سيئة ودفنه حسنة ـ اهـ .

فمن انعم النظر في هذه الاحاديث الشريفة وسبر غور معانيها ومقاصدها تجلى له اهتمام الاسلام بنظافة المعابد وصيانتها عما يسيء اليها ، ويقلل من هيبتها بما ظهر له من اقتران دعوته صلى الله عليه وسلم الى بناء المعابد بنظافتها وتطييبها في كثير من هديه ، ثم يعلن عن جزاء القائمين بهذا العمل الخيري ، ويسأل من كانت تقم المسجد عن افضل عمل وجدت وهي في قبرها تتنعم بما قدمت من خير ، فنجيب ـ قم المسجد ـ أي تنظيفه ، لتبادر النفوس الحساسة الى القيام بعمل الخير وفعل المعروف ، وتنشط الاعضاء لتنفيذ ما وجهت النفوس اليه ، واحبت الاقامة عليه .

ثم يعطف على اولئك الذين سبقت الاساءة منهم الى المسجد بأذىً ، وحكى لهم عقاب من يفعل ذلك وحذرهم منه ، واراهم كيف يعملون اذا حصل لهم ما لا يستطيعون رده ، وطرد من امامة المسلمين ـ الامام ـ الذي آذى المسجد ببصاقه ، ولوثه وهو يصلي بالناس ، وعد عمله استخفافا ببيوت الله تعالى آذى الله به ورسوله وملائكته قبل ان يؤذى المؤمنين ، وهذا لان الامام جعله الاسلام قدوة للمأتمين في حركاته وسكناته ، ومثلا في العفة والصيانة والنظافة الظاهرة والباطنةوالادب والعقيدة والدين،فيجبان يحرص كل الحرص على هذه المكانة الرفيعة التي نال بها شرف التقدم على الغير ،

فاذا خالف هذا النظام المنوط حفظه به وجب ان يعاقب عقاباً شديداً ، ويحاسب حسابا عسيرا على ما فرط في جنبه ، عبرة للغير ومثلا للآخرين .

ولما قد يلحق بعض الناس من الحرج في امساك البصاق ونحوه طوال مكثهم في المسجد لتعذر التخلص منه لطبيعة أو مرض علمهم صلى الله عليه وسلم حمل المنديل للغرض نفسه ، وليقذف من حصل عنده البصاق فيه ، ومن اخطأ فبصق في أرض المسجد جعل الخلاص من عقابه - بالدفن والمواراة - حفظا للمساجد من الاقذار ، وصيانة للناس من العدوى ، وهذا الذي جعل الاسلام يحل سويداء قلوب المنصفين الذين يجرون وراء الحقائق للاستفادة منها حباً في الفضيلة ورغبة في الكمال ، وهم عن اللغو معرضون .

يؤيد هذا كله آية في كتاب الله تعالى اظهرت بوضوح مكانة الطهارة البدنية والنفسية في قلوب الآمين المساجد والحالين فيها من المؤمنين والمؤمنات وحبهم لها على ما يتضح من دعوة الله لرسوله في الاقامة في مسجده صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه [لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا ، والله يحب المطهرين][1] .

تنزيه المعابد عما لم تبن له

منع الاسلام ان تبنى المعابد بما يشغل افئدة المصلين المتعبدين ويصرفها عن الخشوع فيها ، كما منع ان تعلق فيه تصاوير الحيوانات وما تتوجه اليه الانظار من الزخارف ، وحرم الهياكل والتماثيل ، لما اخرج ابن ماجه والطبراني عن جبير بن مطعم مرفوعا - انها (أي المساجد) لا تبنى بالتصاوير ولا تزين بالقوارير - ولما روى البخاري والامام احمد عن

(١) التوبة /آية : ١٠٨ .

انس بن مالك قال كان قرام[1] لعائشة قد سترت به جانب بيتها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ـ اميطي[2] عني قرامك هـذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي .

وهذا لان الغاية المبتغاة من عمارة المساجد التقرب الى الله تعالى بالطاعة التي لا يشوبها رياء ، خالصةً له ، مجردةً عن الالتفات الى ما لا دخل له في معاني الخضوع له وحده ، والتوجه اليه بقلوب مطمئنة بالايمان لا تشتغل بغير تقديسه وتنزيهه ولا تفكر الا بعظمته وجلاله وحده لا شريك له ، ولا ترنو الى غير ما هي فيه ، لتكون العبادة مقبولة مرضية ـ وادعوه مخلصين له الدين ـ .

واما اذا كانت المعابد مملوءة بالتصاوير ، مزدحمة بالتماثيل ، مزخرفة بالنقوش ، فلا يبعد ان تتوجه اليها الابصار ، وتتقلب في بهرجتها وزينتها ، فتصرف البصائر الى غير ما توجهت اليه ، فيجر هـذا المصلي الى التفكير بحسنهـا وبداعة صنعتها بدلا عن التفكير بمعاني آيات الله وتدبرها ، والانصراف الى عبادته انصرافا صحيحا ، فيفقد المتعبد ما وجدت العبادة لاجله ، ويقع في هاوية الضلال ، ويخسر ما للذين هم في صلاتهم خاشعون ، وذلك هو الخسران المبين .

فهم السلف الصالح هذا فهماً صحيحا وعرفوا مراد الاسلام من النهي عن زخرفة المعابد فمنعوا زخرفتها بما يشغل المصلي عما هو فيه من عبادة ، قال البخاري قال ابو سعيد ـ كان سقف المسجد (أي النبوي) من جريد النخل ، وامر عمر ببناء المسجد وقال اكن[3] الناس واياك ان تحمر أو

---

(١) القرام : بكسر القاف ستر رقيق من الصوف ذو ألوان مختلفة .
(٢) اميطي : ازيلي وزناً ومعنى .
(٣) أكن : قال الحافظ وقع في روايتنا اكن الناس بضم الهمزة وكسر الكاف وتشديد النون المضمومة بلفظ المضارع .

تصفر فتفتن الناس ـ .

قال الحافظ ويحتمل ان يكون عند عمر من ذلك علم خاص بهذه المسئلة فقد روى ابن ماجه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر مرفوعا ـ ما ساء عمل قوم قط الا زخرفوا مساجدهم ـ ورجاله ثقاة الا شيخ جبارة بن المغلسي ففيه مقال ، وعن عثمان بن طلحة العبدري الحجبي قال : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاني بعد دخوله الكعبة فقال اني كنت رأيت قرني[1] الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان آمرك ان تخمرهما[2] فانه لا ينبغي ان يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي ـ رواه الامام احمد وابو داود .

قال العلامة الشوكاني ، والحديث يدل على كراهة تزيين المحاريب وغيرها مما يستقبله المصلي بنقش أو تصوير أو غيرهما مما يلهي ، وعلى ان تخمير التصاوير مزيل لكراهة الصلاة في المكان الذي هي فيه لارتفاع العلة وهي اشتغال قلب المصلي بالنظر اليها .

اقول : وهذا ما يجب ان تكون المساجد عليه، وتبنى له، لأنها اعدت للعبادة وما تدعو العبادة اليه ، وتدل عليه ، وكل ما خالفه فهو رد على قائله وفاعله ، ولا حق لأحد ان يدخل فيها ما ليس منه ، مما كشفت الاحاديث الآتية عنه ، ونصت عليه .

ما لا يباح في المساجد

١ ـ انشاد الضالة : لما روى مسلم وابو داود وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال ، من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك ، فان المساجد لم تبنَ لهذا .

---

(١) هو الكبش الذي فدى به اسماعيل الذبيح عليه السلام .
(٢) قوله تخمر أي تغطى والخمار الغطاء والستر .

٢ ـ البيع والشراء : لما روى الترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي وابن خزيمة وقال صحيح على شرط مسلم ورواه غيرهم ، انه صلى الله عليه وسلم قال ـ اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا اربح الله تجارتك ـ الحديث .

٣ ـ حديث الناس في أمور لا تتعلق بما ابيح التحدث فيه ، لما روى ابن حبان في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قال ـ سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة ـ .

٤ ـ خصال نبه عليها صلى الله عليه وسلم ان لا تكون في المساجد وهي ما روى ابن ماجه انه عليه الصلاة والسلام قال ـ خصال لا ينبغين في المسجد لا يتخذ طريقا ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض[1] فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل ، ولا يمر فيه بلحم نيء[2] ، ولا يضرب فيه حد ، ولا يقتص فيه من احد ، ولا يتخذ سوقا ـ وروى منه الطبراني في الكبير ـ ولا تتخذوا المساجد طرقا الا لذكر او صلاة ـ واسناد الطبراني لا بأس به .

٥ ـ ابعاد الصبيان والمجانين وما لم تبن المساجد له ، لما اخرج ابن ماجه عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ـ جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانيكم وشرائكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع اصواتكم واقامة حدودكم وسل سيوفكم ، واتخذوا على ابوابها المطاهر وجمهروها في الجمع ـ والمراد بالصبيان الذين لا يميزون ، واما اذا ميزوا وبلغوا السنة السابعة من اعمارهم امروا بالصلاة تخلقاً ، وعودوا على اتيان المساجد وحضور الصلوات فيها

---

(١) قوله ينبض فيه بقوس بالضاد المعجمة اذا حرك وترها لترن .

(٢) قوله نيىء بكسر النون وياء ساكنة بعدها همزة وهو الذي لم ينضج .

ليشبوا على حب العبادة الداعية الى الطاعة والعمل الصالح ، فان من شب على شيء شاب عليه .

والمراد برفع الصوت فيما لم تكن فيه مصلحة دينية أو خلقية أو تأديبية دعا اليها الاسلام ، والمراد من المطاهر جمع مطهرة وهي ما تطهر الانسان المؤمن وبدنه وملبسه مما لا تصح الصلاة به ، والمراد بقوله وجمروها أي طيبوها بالريح المنبعثة من الطيب المجمد الموضوع على الجمر المتوقد ، والجمع جمع جمعة وخصها بالذكر لازدحام الناس على المساجد فيها ، والا فان الطيب مرغب فيه في كل وقت ، وهو المحبب اليه صلى الله عليه ، ـ حبب اليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ـ رواه الامام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن انس بن مالك ودرجته عند المحدثين حسن .

ما يباح في المساجد

يباح في المساجد فعله كل ما فيه منفعة عامة للمؤمنين والمؤمنات ووطنهما مما لم ينهَ عنه الاسلام في كتاب الله وهدى رسوله ، ومن المباحات :

١ ـ الدلالة على الخير والدعوة اليه ، والتحذير من الشر والاقامة عليه ، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى الامام أحمد وابن ماجه انه قال ـ من دخل مسجدنا هذا ليعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله ، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر الى ما ليس له .

٢ ـ تدارس آيات الله تعالى وهدى رسوله فيما بين المجتمعين فيه لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأبو داود وغيرهما من ذيل حديث صحيح جامع ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون آيات الله ويتدارسونها بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة

وحفتهم الائكة وذكرهم الله فيمن عنده ـ الحديث .

٣ ـ انشاد الشعر فانه ان كان لغرض دنيوي فيه هجو الناس والتعريض بهم او اغراء على المنكرات والخروج عن الطاعة ، والتفريق بين المؤمنين وما يدب فيهم الخلاف والنزاع المقوضين لقوة الامة ، والمبيدين لسلطانها ، فتذهب ريحها ، ويطمع فيها عدوها فهو حرام ، وان كان لغرض دنيوي شريف فيه دعوة الى وحدة الامة وجمع شملها اوحضها على الطاعة ، والتزامها الجماعة ، وتحذيرها مما يأخذ بيدها الى هدم ما امرت باقامته ، وتشييده ، والحفاظ على دولتها وسلطانها وعزها من ان تعمل فيه معاول الهدم والتخريب ، او اخروي فيه دعوة الى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والقيام بما فرض الله على عباده ، وتجنب ما نهى عنه الله تعالى ، وحذر منه رسوله أو أي عمل صالح يرفعه الله اليه ، أو اجتماعي ديني دنيوي كالدعوة الى مكارم الاخلاق ، ومحاسن الصفات ، والتعاون على كل ما فيه النفع العام ، وتقتضيه مصلحة الحياة الخالية من شوائب النفاق والخداع فهو مباح .

لان النبي صلى الله عليه وسلم انشد بين يديه مثل هذا في مسجده وقال لما سئل عنه ـ هو كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ـ رواه ابو يعلى كما روى الطبراني في الأوسط عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبح الكلام ـ .

وفي حاشية ابن عابدين على الدر المختار عن الليث السمرقندي انه قال في الشعر [فما كان منه في الوعظ والحكم وذكر نعم الله تعالى وصفة المتقين فهو حسن ، وما كان في ذكر الأطلال والأزمان والأمم فمباح ، وما كان من هجو وسخف فحرام ، وما كان من وصف الخدود والقدود والشعور فمكروه] .

وقال ابن العربي لا بأس بانشاء الشعر في المسجد اذا كان في مدح الدين واقامة الشرع الى ان قال ، وقد مدح فيه كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

وفيها يقول :

وقد أتيتُ رسول الله معتذراً
والعذرُ عند رسول الله مقبولُ

مهلاً هداك الذي اعطاكَ ناقلة ال
قرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخذني باقوال الوشاة ولم ...
اذنبْ وقد كثرتْ فيَّ الأقاويلُ

الى ان يقول :

ان الرسولَ لسيفٌ يستضاءُ به
مهندٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم
ببطنِ مكةَ لما اسلموا زولوا

زالوا فما زالَ انكاسٌ ولا كشفٌ
عند اللقاءِ ولا ميلٌ معازيلُ

شمُ العرانينِ ابطالٌ لبوسُهمو
من نسج داودَ في الهيجا سرابيلُ

بيضٌ سوابغٌ قد شكت بها حلقٌ
كأنها حلق القفعاءِ مجدولُ

يمشونَ مشي الجمالِ الزهر يعصمهم
ضربٌ اذا عرّد السود التنابيل

لا يفرحـــون اذا نالت رماحهمو
قوماً وليسوا مجازيعاً اذا نيلـــوا

٤ ـ عقد الأجتماعات الدينية التي فيها دعوة الى الله والأعتصام بحبله ، او وطنية فيها حض على الحفاظ على مكاسب الأمة في حياتها التجاريـــة والزراعية والصناعية فان المعابد وجدت لصالح الأمة وهذه الدعوات لم تخرج عن هذه المصالح التي دعا اليها الدين وحض عليها الاسـلام ورضيها السلف الصالح واكدوا على وجوب العمل من اجلها ، وكل هذا داخل في مفهوم مـا تقدم من روايـــة ابي يعلى ، والطبراني في الأوسط وغيرهما .

٥ ـ عقد رايات الجهاد والدعوة اليه لرفع مستوى الحياة الجنديـة في الاسلام الذي شرعه للدفاع عن الدعوة ، ورد كيد المعتدين على كيان الأمة ودولتها وسـلطاتها بكل ما اســتطاعوا اليه سبيلا ، ومن تتبع الحوادث النبوية وما بعدها اتضح له هذا وضوح الشمس لذى عينين ، وتراثت له رايات الحق التي عقدها المؤمنون في مساجدهم وخرجوا بها الى الناس ظافرين منصورين .

ما يجب على المتعبد ان يكون عليه

هذا : ورسم للمتعبد نظاماً يسير على تخطيطه اذا اراد دخول المسجد والاجتماع بالناس :

١ ـ ان يكون طاهر الجسم ،لقوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغتسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ، وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين ، وان كنتم جنباً فاطهروا][1] ولقوله صلى الله عليه وسلم ـ طهروا هذه الأجساد طهركم الله ، فانه ليس عبد يبيت طاهراً الا بأت معه ملك في شعاره لا ينقلب ساعة من الليل الا قال ، اللهم اغفر لعبدك فانه بات طاهرا ، رواه الطبراني وفي حديث مسلم والأمام احمد ـ الطهور نصف الأيمان ـ وفي الجامع الصغير عن الطرسوسي ، ـ تنظفوا بكل ما استطعتم ، فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة ، ولن يدخل الجنة الا كل نظيف ـ .

واحاديث الدعوة الى النظافة كثيرة لم يخل منها كتاب حديث اوفقه لتوقف صحة العبادة عليها ، ويدخل فيها طهارته من الحدث الاكبر وهو الجنابة لقوله تعالى : [وان كنتم جنباً فاطهروا] .

٢ ـ طاهر الثوب . لقوله تعالى ـ وثيابك فطهر[2] ـ وحقيقة تطهير الثياب غسلها بالماء حتى تنقى من الاوساخ قال العلامة النسفي وثيابك فطهر بالماء عن النجاسة لأن الصلاة لا تصح الا بها وهي الأولى في غير الصلاة .

---

(١) المائدة ـ آية : ٦ .

(٢) المدثر ـ آية : ٤ .

٣ ـ طيب الرائحة : لقوله صلى الله عليه وسلم ـ طيبوا افواهكم • فان افواهكم طريق القرآن ـ رواه السنجري في الابانه ، وروى البيهقى ـ طيبوا افواهكم بالسواك ، فانها طريق القرآن ـ ، لذا منع اولئك الذين تنبعث من افواههم الروائح الكريهة فيتأذى الناس منها والملائكة المقربون ، لما روى النجاري ومسلم عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ـ من اكل الثوم او البصل والكراث فلا يقربن مسجدنا وفي رواية مساجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ـ •

قال الامام النووي بعد ان ذكر حديث مسلم ـ فلا يقربن المساجد ـ هذا تصريح ينهى من اكل الثوم ونحوه عن دخول كل مسجد وهذا مذهب العلماء اهـ ـ اقول ويلحق بهذا كل ما له رائحة كريهة من المأكولات والمشروبات ، او من العلل الجسمية المتأتي منها الرائحة الكريهة ، قال القاضي عياض ويلحق به من اكل الفجل وكان يتجشأ ، قال : قال ابن المرابط ، ويلحق به من به بخر في فيه ، او به جرح له رائحة ، قال القاضي وقاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد كمصلى العيد او الجنائز ونحوها من مجامع العبادات ، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها ، وذلك انه صلى الله عليه وسلم نهى عن دخول المسجد من فيه رائحة كريهة لعلة الأذى ، اقول ، وحيثما وجدت العلة وهي الأذى كان الحكم وهو المنع في اي مجتمع من المجتمعات العامة •

٤ ـ ان يكون سالماً من الأمراض المعدية لأنه صلى الله عليه وسلم اذا نهى عن دخول المسجد بالرائحة الكريهة مخافة ان يتأذى الناس ، فالنهي عن دخول من به مرض معدي الى المسجد اولى بالمنع مخافة ان ينتقل المرض منه الى الأجسام التي لا مناعة فيها عن قبول المرض ، وقد منع صلى الله عليه وسلم من كانوا في ارض موبوءة من الخروج منها ، كما

منع الدخول اليها مخافة ان يصيب الوباء السالم بدخوله الى الارض الموبوءة او باختلاط المصابين به ، لما روى مالك في الموطأ عن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ، انه قال لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه لما اختلف الناس في دخوله بالجيش الى ارض الشام التي وقع الطاعون فيها او رجوعه منها ، ان عندي من هذا علماً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ـ اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ، قال فحمد الله عمر ثم انصرف وروى البخاري ومسلم عن اسامة ابن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع وانتم بارض فلا تخرجوا منها فراراً منه] ، قلت وهذا ما يسمى اليوم (بالحجر الصحي) وقد اخذ بهذا المبدأ الصحي اهل الطب وجعلوه من ابرز قوانينه ونظمه المرعية ، وطبقته الحكومات والدول في جميع المعمورة ، ومثل هذا الحديث روى مالك في الموطأ عن اسامة بن زيد عن رسول الله صلوات وسلامه عليه[1] .

ولئلا تنتفي المناعة الأعتقادية عن المؤمنين والمؤمنات فيقعون في خوف العدوى ، ووهم الأمراض ، فيتخلون عن تمريض المرضى واسعافهم بالعلاج الذي ابان صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم ان الله ما انزل داء الا وانزل معه الدواء حيث قال ـ يا عباد الله تداووا فان الله ما انزل داء الا وانزل معه دواء علمه من علمه وجهله من جهله ـ وفي الموطأ من رواية زيد بن اسلم ـ انزل الدواء الذي انزل الا دواء ـ قال صلى الله عليه وسلم ـ لا عدوى ولا هام ولا صفر ، ولا يحلل الممرض على المصح ، وليحلل المصح حيثما شاء ، فقالوا يا رسول الله وما ذاك ، فقال رسول الله انه اذى ـ رواه الامام مالك في الموطأ عن ابن عطية

---

(١) انظر كتابنا ـ الأسلام وعلل المجتمع ص ١٧ .

(الاشجعي) وروي بالفاظ في الصحاح أيضا كما روى ـ فر من المجذوم فرارك من الاسد ـ .

اراد عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث النافي للعدوى ان لا يعتقد المؤمن ولا المؤمنة بان المرض يعدي بنفسه ، لما اسلفنا القول آنفاً ، لذا عطف عليه قوله صلى الله عليه وسلم الناهي عن احلال الممرض على المصح ، بلا الناهية ولام الأمر وعلل هذا بانه اذى ، والاذى اسم جامع لكل ما يؤذى الناس ، والمساجد لم تبنى لأذى الناس ، وانما بنت لعبادتهم وسعادتهم في الدارين ، قال الأمام القرطبي بعد ان ذكر حديث النفي ، ولا ينافيه خبر ـ ولا يورد ممرض على مصح ـ لأنه انما نهى عنه خوف الوقوع في اعتقاد ذلك ، او تشويش النفس ، وتأثير الوهم فينبغي تجنب طرق الأوهام فانها تجلب الآلام ، وبهذا الجمع سقط التعارض بين الحديثين ، اهـ .

اقول كل هذا يؤيد اجتناب المرض المعدي مع اعتقاد انه لم يكن معدياً بنفسه بل باسباب ذكرها الطب القديم والحديث ، واختبرها الناس وقالوا ، درهم من وقاية ، خير من قنطار علاج .

٥ ـ ان يصلي ركعتين قبل جلوسه تحية للمسجد ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين ، ـ رواه البخاري ومسلم والأمام احمد عن ابي قتادة ورواه ابن ماجه ايضاً .

٦ ـ ان يقول عند دخوله المسجد وخروجه منه ما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول حيث قال ـ اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي وليقل ـ اللهم افتح لي ابواب رحمتك ، واذا خرج فليسلم على النبي وليقل، اللهم اسألك من فضلك ـ رواه ابو داود وابن ماجه، ورمز له السيوطي بالصحة .

٧ ـ ان لا يكون جنباً او تكون حائضاً او نفساء لقوله صلى الله عليه وسلم [لا احل المسجد لحائض ولا جنب] رواه ابو داود والمسألة خلافية اسهب فيها الزركشي في اعلام الساجد ص ٣١٤ ونقل اقوال وحجج المجوزين والمانعين ، على ان للضرورات احكاماً تقدر بقدرها .

٨ ـ اذا احتلم النائم في المسجد عليه ان يتوضأ ويخرج من المسجد لرفع الحدث عنه ، قال العلامة الزركشي : يحرم على الجنب المسلم اللبث في المسجد ، وان توضأ ، ويجوز له العبور من غير لبث سواء كان لحاجة ام لا . هذا مذهبنا وحكاه ابن المنذر عن جماعة من الصحابة والتابعين[1] .

٩ ـ يكره الخروج من المسجد بعد الأذان لغير ضرورة كأنتقاض طهارة او صلاة في غيره او اي ضرورة اقتضت خروجه والضرورات تبيح المحظورات :

ـ وَلَهُ ـ

(١) النوم في المسجد على قدر الضرورة لأن اهل الصفة كانوا ينامون ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم والضرورة تقدر بقدرها كما اسلفنا القول .

(٢) اذا احدث حدثاً اصغر ابيح له البقاء في المسجد بدليل ان اهل الصفة كانوا ينامون في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والنوم منقض للوضوء فلم ينكر عليهم احد ، وكان ابو السوّار يكره ان يتعمد الرجل الجلوس في المسجد على غير وضوء ، اقول : وهو الأحوط في الأمر .

(٣) اذا اراد الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة فلا بأس اذا لم يكن له

---

(١) اعلام الساجد ص ٣١٤ .

عمل يعمل فيه ، فان الأنصراف الى العمل جهاد وانتظار الصلاة مع ترك العمل لا يراه الأسلام ، وانما بشر بالأجر من جلس ينتظر الصلاة ولم يكن له عمل يدفع عنه الحاجة وعمن يعولهم ، او يجلب له الغنى ، وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال : لا يزال احدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ، لا يمنعه ان ينقلب الى اهله الا الصلاة .

(٤) اذا دخل المسجد ولم يصل تحيته لعذر ما ، له ان يسبح الله اربع مرات ، قال الأمام النووي في الأذكار : قال بعض اصحابنا من دخل المسجد فلم يتمكن من صلاة التحية لحدث او شغل يستحب ان يقول اربع مرات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله اكبر ، فقد قال به بعض السلف ، اقول : وذكر ابن بطال في شرح البخاري عن جابر بن زيد الأمام الكبير التابعي انه قال : اذا دخلت المسجد فصل فيه ، فان لم يصلح فاذكر الله ، فكأنك قد صليت اقول على ان صلاة تحية المسجد افضل وافضل بكثير لو رود النص فيها ، ومواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها .

(٥) له ان يعقد حلق العلم في المسجد لما روى ابن ماجه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : من دخل مسجدنا هذا ليعلّم خيراً او ليتعلم كان كالمجاهد في سبيل الله ، قال الأمام النووي ويجوز قراءة الأحاديث المشهورة والمغازي والرقائق ونحوها مما ليس فيه موضوع ، وقال حجة الأسلام الغزالي المتوفى في طوس سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م في كتابه الأحياء ، ولا ينبغي ان يحضر الحلَق قبل الصلاة (اي صلاة الجمعة) وذكر حديث ابي داود عن عبدالله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة ، قبل الصلاة ، قال الحافظ العراقي وروى هذا الحديث ابو داود والنسائي وابن ماجه

من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ولم اجده من حديث ابن عمر كذا في الأحياء ج ١ ص١٦٦ اقول : والحِلَق جمع حلْقَة بسكون اللام وروي فتحها في الجمع وهو جمع على غير قياس وحُكي فتح اللام في مفرده وجمعه ، وفي النهاية لابن الأثير ، والحلقه الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب ، ولبعضهم كلام في الجواز لاشاهد له من حديث يسنده ويؤيده يقابل حديث المنع ، قلت : ولعل النهى عن عقد الحلقات قبل صلاة الجمعة ليتفرغ الناس الى تهيئة انفسهم وافهامهم لما سيسمعون من خطبة الجمعة الجامعة ، ويقومون بصلاتها عن نشاط فكري وجسمي لم يمسسهما كلل ولا ملل ، ولهذا جاز ما نهى عنه بعدها حيث ذهب المانع فعاد الممنوع ، وهذا يدل على حرص الأسلام على الأستمتاع بفوائد خطبة الجمعة وصلاتها استمتاعاً لا يشاركه غيره ، ومن قرأ قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري ومسلم والأمام احمد وابن ماجه ، عن جابر ـ نهى صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة ـ واصغى الى قوله تعالى ـ اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ـ تبلور له مراد الأسلام من الأنصراف انصرافاً كلياً نحو التماس الخير من ايادي يوم الجمعة ، وما يجر هذا من خير للفرد والمجتمع الذي اجتمع في بيت من بيوت الله تعالى ليتزود مما فيه، من دعوة خالصة ، وتوجيه مفيد ، ووصية نافعة ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

(٦) له ان يصلي على الميت في المسجد لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على بني البيضاء في المسجد والصحابة معه ، لما روى مسلم عن ام المؤمنين انها قالت : والله لقد صلى رسول الله على ابني البيضاء في المسجد سهيل واخيه .

(٧) له ان يعقد عقدة النكاح في المسجد ، اكد هذا ابن الصلاح محتجاً بقوله صلى الله عليه وسلم :ـ اعلنوا النكاح في المسجد ـ رواه الترمذي: اقول : وهذا ما دأب عليه المسلمون منذ عصورهم الأولى يجتمعون ليلة الزفاف في المسجد للصلاة وبعدها يشيعون المتزوج الى داره اعلاناً باحصانه وامتثالاً لأمره صلى الله عليه وسلم المحتمل لما ذهبنا اليه وحبذا لو رجع الذين لا يعلمون في عصرنا هذا عن ترك المساجد والأنصراف الى المطاعم والفنادق في اعراسهم ، والرجوع عن الخطأ فضيلة .

(٨) له ان ينوى الأعتكاف اذا جلس ينتظر الصلاة تحصيلاً لمضاعفة الأجر ، اجر الأنتظار واجر الأعتكاف ، قال العلامة الزركشي ، يستحب لمن دخل المسجد وجلس فيه ان ينوي الأعتكاف سواء كثر جلوسه ام قل ، وقال الأمام النووي في البيان : وهذا الأدب ينبغي ان يعتنى به ويشاع ذكره ، ويعرفه الصغار والعوام ، فانه مما يغفل عنه ، وقال في الأذكار : وينبغي للمار ايضاً ان ينوى الأعتكاف فان بعض اصحابنا قال : يصح أعتكاف من دخل المسجد ماراً ، والافضل ان يقف لحظة ثم يمر[1] .

(٩) له ان يلاعن زوجه في المسجد لما في البخاري من حديث سهل بن سعد : ان رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتلاعنا في المسجد وانا شاهد .

---

(١) اعلام الساجد ص ٣٤٩ .

المرأة والمســـاجد

للمرأة ان تحضر المساجد للصلاة واستماع ما يأخذ بيدها الى الصلاح والأصلاح لما في الصحيحين البخاري ومسلم ـ لا تمنعوا اماء الله مساجد الله ـ اذا استأذنت احدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها ـ رواه البخاري ومســلم ولما صح ان النساء كن يحضرن جماعات الصلاة في المساجد ، ويجلســن لأستماع المواعظ الارشادات والتوجيهات النافعة منذ عصر النبوة وما بعده من العصور الأسلامية الزاهية فنبغ منهن العالمات العاملات ، والعابدات الصالحات، واشتهر منهن المرشدات الصادقات ، والداعيات المخلصـــات ، وبرز منهن المجاهدات الجريئات في سوح الحروب ، وميادين القتال ، والى جانب هـذا فمنهن المحسنات القانتات ، في خيراتهن ومبراتهن ، وتشييدهن المدارس والمساجد والمستشفيات واسهامهن في كل أعمال الباقيات الصالحات حتى قالوا

فلو أنّ النســاءَ كمن رأينـــا ... نفضلت النساءُ على الرجال
فما التأنيث لاسمِ الشمس عيبٌ ... ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال

ومن تتبع الحوادث التاريخية تبلور له ما ذكرنا واكثر واكثر من اعمالهن الصالحة في المجالات الدينية والدينوية ، ولازداد يقيناً بان المرأة التي نشأت على فهم الدين والدنيا وعرفت مالها وما عليها من اعظم النعم التي منّ الله بها على عباده ، وانهـا اليد العاملة عـلى بناء الأســرة بناء لا تنقضه الأهواء ، ولا تضعضعه التيارات الوافدة من هنا وهناك تحقيقاً لقوله صلى الله عليــه وسلم ، ـ ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من امرأة صالحة ـ الحديث رواه ابن ماجه .

وما مصيبة المرأة المسلمة ـ اليوم ـ الا بعدها عن فهم الأسلام وما يدعو

اليه من القيم الأنسانية النبيلة ، واعراضها عن حضور المساجد للصلاة واستماع ما تنتفع به في دينها ودنياها ، ومعرفة مالها وما عليها ، فان النبي صلى الله عليه وسلم ما نهى عن منع النساء الحضور الى بيوت الله الا ليؤكد حقها في الحياة الدينية والدنيوية ، ومسؤليتها عما هو واجب عمله او تركه في حياتها العامة ، وان المرأة المثقفة بالدين خير ما استفاده الرجل في دينه ودنياه ، وتأخذ المرأة قسطها من الثقافة الدينية كما اخذ الرجل وليبنيا معاً اسرتهما على قواعد الدين الرصينة التي عليها سعادة الجيل الذي ينشأ عنهما ، ويتفرع منهما ، والمرأة الصالحة اذا صلحت اصلحت واعدت جيلاً صالحاً بصلاح اعضائه الذين تكونت الأمة منهم ، وتشأت الدولة بهم ، وازدهرت البلاد ، واينعت ثمار العز والمجد الأكيد ، واستقر الأمن ، وعمّ الرخاء ، وانصرف كل فرد الى عمله مطمأن النفس ، مستريح البال ، متمتعاً بالعيش الرغيد ، والأمن السعيد ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه وهو من الآمنين .

تبلور

تبلور من هذه النظم التي دعا الأسلام المصلى اليها وحرص على ان ينشأ الفرد المسلم على التزام ما يوجه اليه ، مما يوفر له الراحة المنبعثة عن صحة الجسم ، وراحة النفس ، وفراغ القلب مما يشغله عن القيام بما هو منوط به من تسيير الجوارح الى ما فيه المنفعة العامة وبالتالي تتفرغ الأمة جمعاء الى السير على درب السعادة والهناء ، وطريق النصر والفتح المبين محاطة بالعز محفوفة بالمجد ، تدعو الى الحق وتحمي وجوده بقوة الأيمان المؤيد بالحزم والعزم ، وهم فرحون مسرورون .

تدرج بناء المعابد وتطوراتها

وما احدث فيها

فهم السلف الصالح مراد الاسلام من الدعوة الى تشييد المعابد والعناية بها فهماً صحيحاً جعلهم يتسابقون الى بنائها وعمارتها بكل ما اوتوا من حول وقوة وما زال ولم يزل بناء المعابد يتدوج من حسن الى احسن ، حتى وصل الى ما يُشاهد الانسان في الممالك الأسلامية الكبرى من فخامة البناء والتصميم الهندسي ، وما قام به خلفاء المسلمين وامراؤهم في الوطن الاسلامي وغيره من آثار تدل على اهتمامهم بعمارة بيوت الله ، وتشييدها بما يليق لمقامها السامي ، ومنزلتها الرفيعة ، ويقوم به ـ اليوم ـ الذين حبب الله اليهم الأيمان وزينه في قلوبهم من تشييد هذه البيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، واهتموا ببنائها رجالاً ونساء وبذلوا الجهد في تنظيمها تنظيماً يلائم متطلبات العصر الحاضر ، ورغبات اهله المشروعة ، ليكونوا في عداد المؤمنين الذين أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، ولم يخشوا الا الله الذي لا يضيع اجر من احسن عملا ، فتسارعوا الى نيل قصب السبق في هذا المضمار الحياتي السعيد بكل ما استطاعوا اليه سبيلا .

فكان بناء المعابد في صدر الاسلام بسيطاً جداً حيث كانوا يقتصرون على اقامتها على جذوع النخل واللبن ، ويفرشون ارضها بالحصى الطاهر النظيف للسجود عليه ، كما بني مسجد قباء ومسجد المدينة المنورة[1] قال البخاري قال ابو سعيد كان سقف المسجد من جريد النخل ، وامر عمر ببناء المسجد وقال ـ أَكِنَّ الناسَ ـ اي احفظهم من اشعة الشمس وماء المطر ، وهذه

---

(١) انظر تاريخه منذ نشأته حتى يومنا هذا في كتابنا ـ الذكرى الخالدة للنبي الخالد ص ٨٠ وما بعدها .

رواية الحاكم ، وأما رواية الأصيلي ـ أكِنَّ ـ بفتح الهمزة والنون وهو فعل أمر ويؤيد هذه الرواية ما بعدها وهي ـ وإياك ان تحمرّ او تصفرّ فتفتن الناس ـ وهكذا كان تشييد المعابد في ذلك العصر النبوي الزاهر ، عصر الانتصارات ، عصر الفتوح ، عصر الدعوة ، عصر المجد والخلود ، عصر التقوى والصلاح ، وهذا لأن الهمم كانت موجهة الى نشر الدعوة الأسلامية، وتبليغها الناس وتوجههم الى الله وحده ، من غير ان يشغلهم شيء آخر من زينة الحياة الدنيا وزخرفتها التي اضلتهم سواء السبيل ، وتركتهم يتخبطون في بيداء الشكوك والاوهام تحت قيادة الزائغين المضلين الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، حتى ذاقوا حلاوة الاسلام ، وعسيلة الحرية والأنطلاق نحو الحياة الهادئة المطمئنة ، فتجردوا لماذا قوا وعرفوا الى جهاد المشركين الذين حرص الاسلام على هدايتهم لينعموا بنعيم الأيمان مع اخوانهم المعتصمين بحبل الله ، والقابضين على مكاسب ايمانهم ، ومكتسبات جهادهم في الدعوة الى نبذ ما كان يعبد آباؤهم مما لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يغنوا عنهم شيئاً بكفرهم الذي طبع على قلوبهم وسمعهم بطابع الزيغ والضلال ، وجعل على ابصارهم غشاوة فعموا عن ادراك الحقائق ، وصموا عن سماع الحق ، واصبح الجهل يتحكم في حاضرهم ومستقبلهم ، فمزق وحدتهم ، وشتت شملهم وكاد ان يزجهم في مصير الهلاك والدمار ، لولا ان تداركهم رحمة الله بدعوة الاسلام وتجعلهم في عددا خير امة اخرجت للناس .

يضاف الى هذا ان المؤمنين والمؤمنات كانوا عاملين على نشر الدعوة وتبليغ الرسالة الى العالم اجمع حيث ارسل محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لهم ومن لوازم الرحمة دعوة الناس الى الارتشاف من مناهلها العذبة ، والدخول في حصنها المنيع ، والتمتع بنعيمها الدائم ، الى يوم يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب .

لذا لم يشغلوا انفسهم بغير ما وجهوا اليه ، ودعوا الى حمله وتبليغه

من غير لِمَ ، وكيف ، وأنى ، اضف الى هذا ان الله جعل لهم الأرض مسجداً وطهورا ، سواء كانت معمورة او قفرا ، وهذه خصوصية الترخيص لهم على ما هو ظاهر لمن سبرغور الأديان ، وأطلع على قواعدها وانظمتها اطلاع مدقق خبير ، واعلن عما تحقق عنده صلاحه للناس ، واصلاحه لأمورهم وهو يرتل بلسان صدق وايمان ـ وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ـ .

ثم تطور شكل البناء وهندسته بعد انتشار الاسلام في الممالك المتمدنة ، واطلاع الأمراء على مختلف الابنية وانواعها وتصميمها الهندسي وزخرفتها الجذابة ، وميول اهل تلك البلاد واستحسانهم لها فعمدوا الى تحسين ابنية المساجد بما لا يشغل المصلين عما بنيت المساجد له ، فبنى عثمان رضى الله عنه المسجد النبوي بالاحجار المنقوشة ، والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج ، ولم يقصد في هذا الا استقامة البناء ، وصلاح البقاء .

والمشهور ان اول من زخرف المساجد ـ الوليد بن عبدالملك ـ الأموي، والواقع ان اول من زخرفها ـ مسلمة بن مخلد ـ امير مصر من قبل معاوية ابن ابي سفيان الأموي كما هو ظاهر مما ذكره المقريزي في الجزء الثالث من خططه ص١٩٠ نقلاً عن كتاب اخبار مسجد اهل الراية حيث قال ـ لما ضاق المسجد العتيق باهله ـ وهو مسجد عمرو بن العاص ـ فاتح مصر شكى اهله الى مسلمة بن مخلد ـ وهو يومئذ امير مصر ـ من قبل معاوية فكتب اليه يستأذنه فامره معاوية بالزيادة ، فزاد فيه من شرقيه مما يلي دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثاً من القبلي ولا من الغربي ، وذلك سنة ٥٣هـ/٦٧٢م وجعل له رحبة في البحري منه كان الناس يصيفون فيها ولاطه بالنورة وزخرف جدرانه وسقفه ، قال الكندي ، ولم يكن المسجد الذي لعمرو فيه نورة ولا زخرف ـ اهـ .

هذه شهادة تأريخية تدل على ان اول من زخرف المساجد هو ـ مسلمة

ابن مخلد ـ ولكن الوليد كان اكثر زخرفة للمساجد منه ، فانه زخرفها بالفسيفساء والذهب كما فعل في المسجد النبوي والمسجد الأموي الذي بناه في دمشق وقبة الصخرة المشرفة في القدس ، وكان المسجد يكونّ من جدر تفصله عما يحط به من الدور وغيرها ، وعلى محيط هذه الجدر سُقُف خشبية تظلل من تحتها في هجير الشمس وتقيهم من وابل المطر ، وفي الوسط يكون مكشوفاً وربما وضع فيه حوض يتوضأ منه المصلون .

ثم تغير هذا التصميم في بعض البلاد الى تصميم هندسي يناسب طبيعتها في فصولها السنوية ، فمنهم من جعل المسجد كله مصلىً غير مكشوف ويكثر هذا التصميم في البلاد الباردة الممطرة ، ومنهم من جعل بعد باب المسجد رحبة مكشوفة تكون مصلى في ليالي الصيف غالباً ومهواً للمسجد ويعرف بصحن المسجد ثم تليها بناية مسقفة بجدر سميكة مفصولة عن صحن المسجد وكثيراً ما تتقدمه اروقة مفتوحة وهذه البناية يطلق عليها اسم ـ الحرم ـ واقية من حر الشمس وماء المطر وشدة البرد ، ويكثر هذا النوع من المساجد في البلاد المعتدلة ، والحارة ، هذا اذا كان معداً للصلوات الخمس ، اما اذا كان مهيئاً لها وللجمعة والعيدين فيوضع فيه منبر خشبي أو حجري لموقف الخطيب في خطبة الجمعة ، ومنارة أو اكثر للفرق بينه وبين المسجد من الخارج ، ويطلق عليه اسم ـ المسجد الجامع ـ .

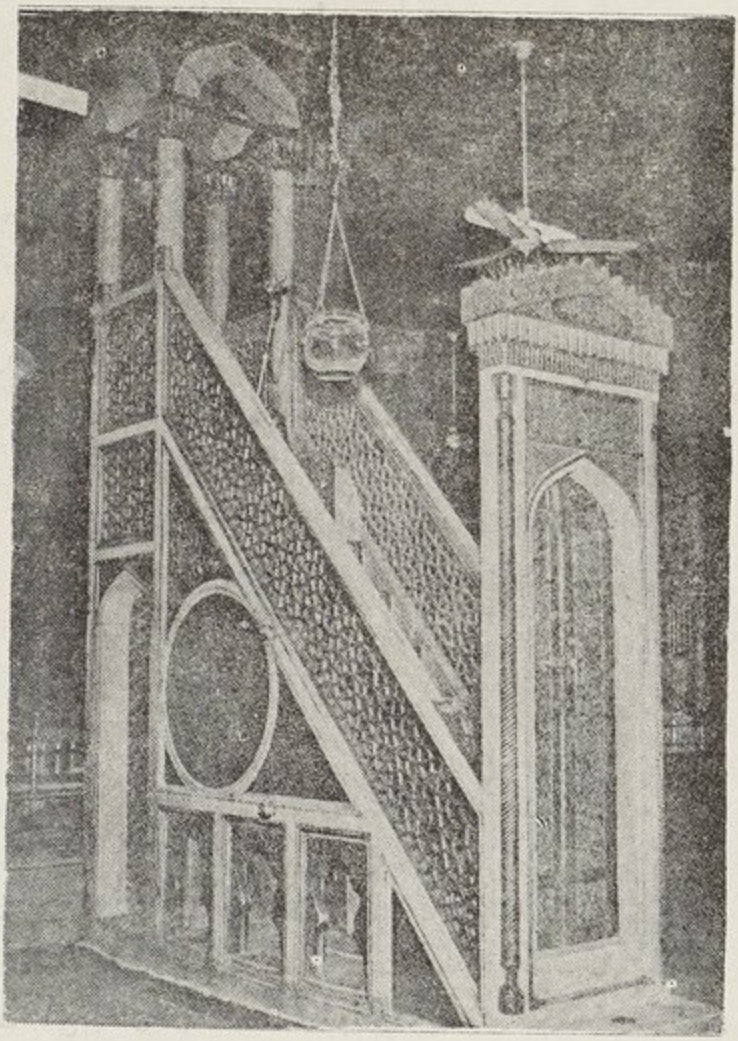

منبر المسجد النبوي

المنابر

جمع منبر وهو مرقاة الخاطب من نبر الشيء اذا رفعه وسمي بهذا العلوه وارتفاعه ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس في مسجده الى جذع فشق عليه الوقوف ، ولحظ المؤمنون هذا منه ، فقالوا يا رسول الله الا نجعل لك منبراً ، قل ، ان شئتم ، فجعلوا له منبرا ، وفي مسند الدارمي من حديث بريدة ـ كان النبي اذا خطب قام فأطال القيام فكان يشق عليه قيامه ، فأتي بجذع نخلة فحفر له واقيم على جنبه قائماً للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا خطب فطال القيام عليه استند فأتكأ عليه فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائماً الى جنب ذلك الجذع فقال لمن يليه من الناس لو اعلم ان محمداً يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فان شاء جلس وان شاء قام ، فبلغ ذلك النبي فقال أئتوني به فأتوه به فأمره ان يصنع له هذه المراقي الثلاث او الاربع هي الآن في مسجد المدينة ، فوجد النبي في ذلك راحة ـ اهـ .

وهذا يدل على ان المنبر لم يكن حديث عهد في المساجد الجامعة وانما هو من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذه ليلقي من عليه ما امره الله به على الناس ويوجههم الى ما فيه سعادة الدارين ، ويهديهم الى صراط مستقيم ، ثم أدخل عليه التحسين الحاقاً لما اتخذ في المعابد من تحسينات واصلاحات حتى وصل الى ما يشاهد اليوم في بيوت الله الجامعة ، من بداعة واحكام .

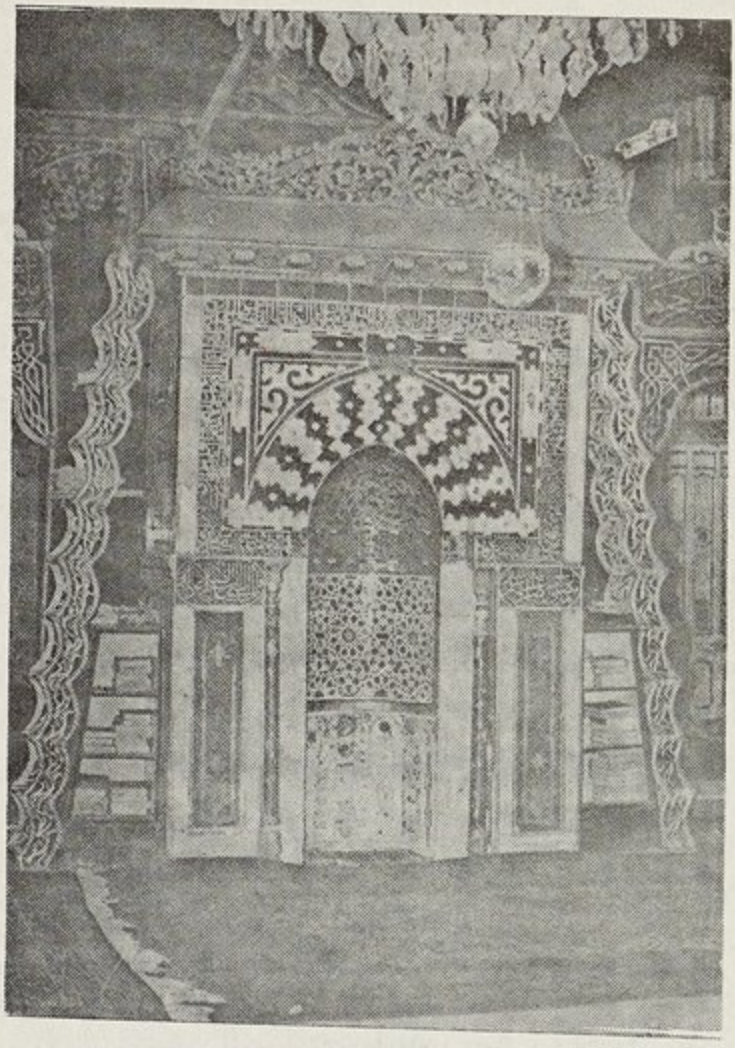

محراب المسجد النبوي

المحاريب

جمع محراب وهو مقام الأمام من المسجد ، قال ابن الانباري ـ سمي لأنفراد الأمام فيه ، وبعده من القوم ومنه يقال فلان حرب لفلان اذا كان بينهما بعد وتباغض ـ وفي المصباح ـ ويقال محراب المصلى مأخوذ من المحاربة لأن المصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه باحضار قلبه ـ وفي مختار الصحاح ـ والمحراب صدر المجلس ومنه محراب المسجد ، والمحراب ايضاً الغرفة وقوله تعالى ـ فخرج على قومه من المحراب ـ قيل من المسجد ، ويطلق على الصومعة التي يعبد الله تعالى فيها ومنه قوله تعالى ـ كلما دخل عليها زكريا المحراب ـ اي الصومعة التي بناها زكريا في بيت المقدس لتتعبد فيها مريم عليها السلام فكان اشبه بين صومعة العابد وموقف الأمام ظاهراً لتعظيم الله تعالى وتكبيره في كلٍ منها ، ولهذا يكتب فوق كثير من المحاريب هذه الاية ـ كلما دخل عليها زكريا المحراب ـ و ـ ونادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ـ اشارة الى حقيقة هذا المكان المشرف الذي هو من القدسية والشرف بمكان عظيم ، وقوله تعالى ـ يعملون له ما يشاء من محاريب ـ ويطلق أيضا على حوض المنارة لتعظيم الله تعالى فيها وقالوا صومعة المأذنة .

هذا : ويكون موقع المحراب في وسط الجدار القبلي للمسجد متجها نحو القبلة وعلى يمينه المنبر يقف فيه الامام ليأم المتعبدين والمتعبدات في صلاتهم ومناجاتهم لله الواحد القهار ، والمؤمنون والمؤمنات من ورائه صفوف متراصة مكبرين متعبدين يرجون رحمة الله ورضاه ، ويخافون عظبه يوم لقاه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله .

المحراب والمنبر في احد جوامع بغداد

تصوير نزار السامرائي

وأول من اتخذ المحاريب المجوفة في المساجد وبناهـــا ـ عمر بن عبدالعزيز ـ الخليفة الاموي ليكون موقفا للامام ورمزا الى جهة القبلة ، قال الشريف السمهودي ـ ان المسجد الشريف لم يكن له محراب في عهده صلى الله عليه وسلم ولا في عهد خلفائه بعده ، وأول من اتخـــذه ـ عمر بن عبدالعزيز في عمارة الوليد ـ وكان أمير المدينة يوم امره الوليد بعمارة المسجد النبوي ، واسند يحى عن عبد المهيمن عن ابن عباس عن أبيه قال ـ مات عثمان وليس في المسجد شرفات ولا محـــراب فأول من

احدث المحراب والشرفات ـ عمر بن عبدالعزيز ـ وقال المقريزي في الجزء الثالث ص ١٨٩ حدثنا محمد بن هلال قال ـ اول من احدث المحـــراب المجوف عمر بن عبدالعزيز لياليّ بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، اقول انه لبدعة حسنة ابتدعها عمر بن عبدالعزيز واراد بها وجه الله تعالى وابن عبدالعزيز معروف عند المسلمين جميعا بورعه وصلاحه ونصحه في دينه رحمه الله ورحم من اسدى الى بيوت الله معروفا وصانها مما لا يليق بها الى يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

المقاصير

جمع مقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة أو هي أصغر من الدار كالقصارة ولا يدخلها الا صاحبها ، وسميت بها القبة التي تضرب على موقف الامام في المسجد الجامع خوفا عليه من الاغتيال ، وحفظا له مما عسى ان يوجه اليه بعض خصومه واعدائه من سوء وهو قائم بامامة المسلمين في صلاتهم لان الامامة من وظائف الخليفة اذا كان أو نائبه بارادة من عنده يزود بها القائم مقامه وتسمى ـ اليوم ـ بالمرسوم ، فان من قام بالامامة الكبرى في الحكم قام بالامامة الصغرى في العبـادات[1] ، والامـــام في الاسلام امام دنيا ودين ومن لم يكـــن كذلك لم يكن اماما للمسلمين في شيء ، والمقاصير لا زالت في بعض الجوامع المهمة التي يحضرها ولى الامر للصلاة مأموما للغرض الذي انشئت لاجله .

وهي مما استحدث في المساجد الجامعة ، واول من اتخذها ـ معاوية ابن أبي سفيان الاموي ـ ، بعد تنفيذ مؤامرة الخوارج سنة ٤٠هـ ـ ٦٦٠م

---

(١) اوضحنا هذا في كتابنا ـ عواصم الخلافة ـ لم يطبع بعد .

وذلك ان ثلاثة من الخوارج هم ـ عبدالرحمن بن ملجم المرادي ، والبرك بن عبدالله ، وعمرو بن بكر التميمي ـ تآمروا على قتل ثلاثة كان تسيير أمور المسلمين بأيديهم وهم ، أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب الهاشمي في الكوفة ، ومعاوية بن أبي سفيان الاموي في الشام ، وعمرو بن العاص السهمي في مصر ، زاعمين أنهم سبب تطاحن المسلمين مع بعضهم ، فاذا قتلوهم اتفق المسلمون على امير واحد يقوم بأمورهم ، ويحفظ وحدتهم ، ويصون دمائهم وبهذا التدبير يصلح امر المسلمين ، وانهم قاموا بهذا التآمر لمقتضيات مصلحة المسلمين وامنهم وسلامتهم من الانشقاق والخلاف الذي يؤدي الى ضعف الامة وانهيار كيانها السياسي والديني معا ، ومع هذا فأنهم ثأروا لأخوانهم الخوارج الذين بغوا على الامام الحق فقاتلهم وقتلهم بعد دعوتهم الى الرجوع عن خروجهم فلم يستجيبوا وذلك جزاة البغاة الخارجين .

لهذا وذاك اتفقوا على تنفيذ هذه المؤامرة الاثيمة لتسع عشرة ليلة تخلوا من شهر رمضان سنة ٤٠هـ ـ ٦٦٠م فقال ابن ملجم انا اكفيكم علي بن ابي طالب ، وقال البرك انا اكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر انا اكفيكم عمرو بن العاص وقصد كل واحد منهم صاحبه .

اما ابن ملجم فجاء الكوفة واتفق مع اثنين ممن على شاكلته على هذه الجريمة المنكرة مضت ليلة الجمعة ١٩ من شهر رمضان سنة ٤٠هـ ـ ٦٦٠م والمتآمرون يترصدون خروج الامام رضوان الله عليه لصلاة الصبح ، ها هو الامام يشق صفوف المؤمنين ليأمهم للصلاة في مسجد الكوفة ، فما كان من ابن ملجم الا ان يضرب الامام بسيفه المسموم وهو ينادي ـ الحكم لله يا علي لا لك ولا لاصحابك ـ والامام يقول ـ لا يفوتكم الرجل ـ وبعد يومين استشهد الامام رضوان الله عليه متأثرا بجراحه من هذه الضربة التي لم تذهب حرارتها من قلوب المسلمين الى يوم الدين يوم يقول الذين

ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ، وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال .

واما عمرو بن بكر التميمي ، فانه قتل ليلة المؤامرة خارجة بن حذافة السهمي صاحب شرطة عمرو وهو يحسبه عمرو بن العاص وكان عمرو انابه تلك الليلة فنابه للصلاة بالناس في مسجده ، وفي هذا يقول ابن زيدون الاندلسي في مرثيته المشهورة واحسن القول .

وليتها اذ فدت عمـــراً بخارجةٍ فدت علياً بمَن شاءت من البشر

واما البرك فانه نفذ مؤامرته هو أيضا في الليلة التي اتفقوا عليها ، وضرب معاوية بسيفه المسموم وهو خارج للصلاة فأصاب اليته وفشل في مؤامرته ، فكانت عاقبة الخارجي القتل والموت ، وعاقبة معاوية النجـــاة والحياة[1] .

وعلى اثر هذه الحادثة امر معاوية ببناء المقصورة في المسجد على موقف الامام ومحرابه ، قال الامام النووي في شرح مسلم ـ ان اول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية حين ضربه الخارجي ، ـ وقال العلامة القاسمي ـ وكان في الجامع الاموي بدمشق مقصورة كبرى حول منبره ومحرابه الى ركني القبة ازيلت في حدود سنة ١٢٨٠هـ ـ ١٨٦٣م بأمر والي دمشق وقتئذ ، وكان احداث هذه المقصورة بأمر معاوية ثم زاد فيها سنة ٤٣هـ ـ ٦٦٣م لما وثب عليه البرك ليقتله وفي سنة ٤٣هـ أيضـــا احدث مروان في المسجد النبوي مقصورة وهو والٍ عليها ـ وقال الخضري ج ـ ٢ ـ ص ١٦٣ ـ اما البرك بن عبدالله فانه قعد لمعاوية في ذلك اليوم الذي ضرب فيه

(١) انظر تفصيل هذا في كتابنا ـ تذكرة اليقظان في حوادث رمضان ص ٦٧ وما بعدها .

علي فلما خرج معاوية شد عليه بالسيف في اليته ودووي من الضربة وامر عند ذلك بعمـــل المقصورة وحرس الليل وقيام الشـــرطة على رأسه اذا سجد ـ ، وقال المقريزي في الجـــزء الثالث ص ١٩٥ ـ واول ما عملت المقاصير في الجوامع في أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٤هـ ـ ٦٦٤م ـ وجاء أيضا في خططه في الجزء الثالث ص ١٩٠ ـ وذكر عمر بن شيبة في تاريخ المدينة ان اول من عمل المقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام وان عمر بن عبدالعزيز عملها بالساج ـ اهـ .

فاذا صح هذا الخبر يكون الامام عثمان رضى الله عنه أول من احدث المقصورة خوفا على نفسه مما حصل لسلفه الامام عمر رضى الله عنه من ابي لؤلؤة المجوسي فيروز لما اغتاله وهو في صلاته ، يؤيد هذا ما قاله ابن زبالة قل مالك بن انس لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب عمـــل عثمان مقصورة من لبن فقام يصلي فيها للناس خوفا من الذي اصاب عمر وكانت صغيرة ، كما روى يحيى هذا كله في زيادة عثمان في المســـجد النبوي ، ولعل الاول اظهر والله اعلم .

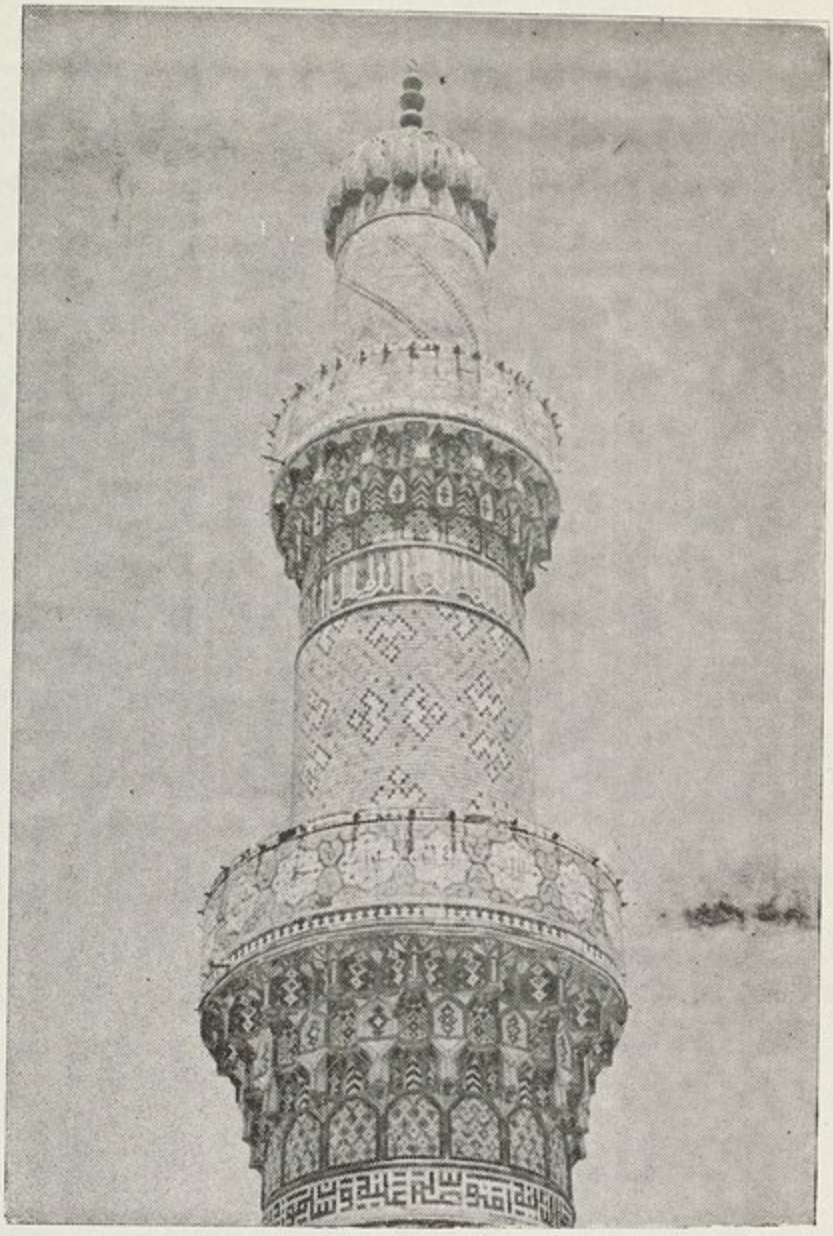

منارة جامع الاصفية في بغداد

تصوير نزار السامرائي

المنائر

جمع منارة مأخوذة من الانارة وهي الاشتعال حتى تضيء مكان المسجد فيرى مكانه الآتي من بعيد ويهتدى اليه والى البلد الذي هو فيه ، ومنه سميت منارة السراج كذا في معجم البلدان والى هذا اشار سعيد القاضي كما في كتاب امراء مصر حيث قال :

وتنور فرعون الذي فوق قلة
على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجداً فيه يروق بناؤه
يهدي به في الليل ان ضل من يسري
تخال سنا قنديله وضيائه
سُهيلاً اذا ما لاح في الليل للسفر

وهذا لان فرعون مصر كان قد بنى تنوراً فوق جبل المقطم توقد النار فيه فيتصاعد لهيبها ليعلم الناس ان فرعون خرج من عين شمس فيستعدوا لاستقباله متى ما رأوا لهيب النار ، فبنى ملك مصر المسلم السلطان أحمد ابن طولون سنة ٢٥٩هـ - ٨٧٢م مسجدا على موقع تنور فرعون اسماه - مسجد التنور - وبنى فيه منائر توقد حولها القناديل لتدعو الضال الى الاهتداء حتى اذا ما توجه اليها استقبلته بنورها بدلا من نارها لتدعوه الى عبادة الله وحده لا انها ترغمه على استقبال مخلوق ضال فرض عليه عبادته من دون الله فأضله سواء السبيل ، وشتان بين العملين وقديما قالوا :

فحسبكمو هذا التفاوتُ بيننا
فكلُّ اناءٍ بالذي فيه ينضح

قال المقريزي ج - ٣ - قال السراج الوراق مادحا الصاحب

تاج الدين بن الصاحب الذي بنى جامع دير الطين سنة ٦٧٢هـ - ١٢٧٢م .

بنيتم على تقوى من الله مسجداً
وخير بناء العابدين المساجد

الى ان يقول :

وقد ارشد الضلال عالي مناره
فلا حائر عنه ولا عنه حائد
بذا قضت الايام ما بين اهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد

وتسمى المآذن وهي جمع مأذنة لانها كما اعدت للأذارة اعدت للأذان وهو اعلام الناس بوقت الصلاة ، وفي عصرنا هذا استعاض الناس بمكبرات الصوت وهو حسن وبقيت المنائر المآذن تؤدي وظيفتها بالاضاءة وبعث صوت المؤذن الى القدر الممكن من البعد حسب قوة مكبرات الصوت وضعفها زيادة عن أنها شعار يدل على موقع المسجد ومكانه ، وتسمى - الصوامع - أيضا وهي جمع صومعة والصومعة مكان يتعبد فيه دقيق الرأس ، وانما سميت المآذن صوامع لذكر الله فيها وتوحيده وتمجيده .

وأول من احدث المنائر في المساجد الجامعة - مسلمة بن مخلد - أمير مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان الاموي سنة ٥٣هـ - ٦٧٢م قال المقريزي ج - ٣ زاد مسلم بن مخلد في المسجد الجامع وجعل له المنار ولم يكن قبل ذلك وكان - شرحبيل - أول من رقى منارة مصر للأذان ، وقال بعد كلام قصير ، فلما كثرت مساجد الخطبة امر مسلمة بن مخلد الانصاري في امارته على مصر ببناء المنائر في جميع المساجد خلا مساجد نجيب وخولان فكانوا يؤذنون في الجامع أولا فاذا فرغوا اذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد فكان لأذانهم دوي شديد .

أقول وحبذا لو سنت وحدة الأذان في جميع مساجد بغداد فانه ادعى الى وحدة الشعار ، وهيبة الأذان ، واتباع سنته فيما شرع له اسوة بكثير

من الممالك الاسلامية في الوطن الاسلامي الكبير ، طالما مذايع الاصوات ومكبراته متيسرة الحصول وقد زودت أكثر المساجد الجامعة بها ولم يبق الا الدعوة الى هـــذه الوحدة في الاذان من المسؤولين في ديوان الاوقاف والتعاون من القائمين على تسيير الوجائب الدينية في المساجد والجوامع وما هذا على الغيارى بعزيز ، وانه من الحسن بمكان .

هذا : وقد قال عابد بن هشام الازدي يخاطب مسلمة :

لقـــد مدت لمسلمة الليالي ... على رغـم العـداة مع الأمانِ
وساعده الزمان بكل سعدٍ ... وبلّغه البعيدَ مِن الأماني
امسلمُ فارتقِ لا زلتَ تعلو ... على الأيام ـ مسلمُ ـ والزمانِ
لقد احكمت مسجدَنا فأضحى ... كأحسنِ ما يكونُ من المباني
فتـاه به البـــلاد وساكنوها ... كمـــا تاهت بزينتهـا الغـواني
وكم لك من مناقبَ صالحاتٍ ... وأحسِنْ بالصوامِع للأذانِ
كأن تجاوبَ الأصوات فيها ... اذا ما الليل القى بالجرانِ
كصوتِ الرعدِ خالطه دويٌّ ... وارعبَ كلَّ مخطوفِ الجِنانِ

وعلق ابن عابدين في الجزء الاول من حاشيته ـ رد المحتار على الدر المختار ـ على قوله ـ ويستدير في المنارة ـ بقوله بعد كلام قصير قلت في شرح الشيخ اسماعيل عن الاوائل للسيوطي ، ان اول من رقى منارة مصر للأذان ـ شرحبيل بن عامر المرادي ـ وبنى ـ مسلمة المتأثر للأذان بأمر معاوية ولم يكن قبل ذلك .

وقال ابن سعد بالسند الى ام زيد بن ثابت كان بيتي اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من اول ما اذن الى ان بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، فكان يؤذن بعدُ على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره أي ظهر المسجد .

أقول لعل من هنا فهم استحسان الأذان على شيء مرتفع لأنه اكثر انتشارا للصوت فان دائرة الصوت تتسع كلما كان مخرج الصوت من محل ارفع واعلا على ما هو معروف حساً فبادر ولاة امور المسلمين الى بناء المآذن للأهتداء ، والدعوة الى الصلاة التي هي من أهم دعائم الاسلام وقواعده ، بها يكون التعارف ، وعليها يبنى التآلف ، انها سبيل الوحدة ، وحلقة رابطة الأخاء والتعاضد والمحبة والولاء بين المؤمنين والمؤمنات في دينهم ودنياهم ، وبهذا العمل الصالح سنوا سنة حسنة اقتضتها مصالح المسلمين وان من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة .

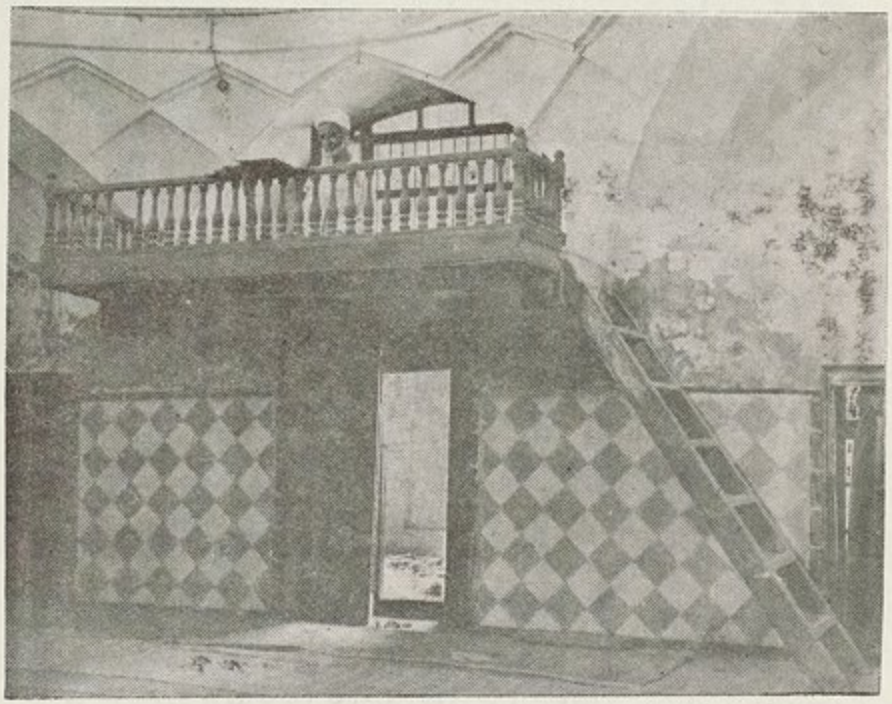

محفل احد مساجد بغداد

تصوير نزار السامرائي

المحافل

المحافل : جمع محفل كمجلس وزناً ومعنى كذا في اللغة ، وهي حادثة في المساجد الجامعة حيث ما كان للمسلمين في صدر الاسلام مدارس خاصة وانما كانوا يلجؤون الى المساجد في مدارسة القرآن في أي وقت قدروا عليه وكانوا غالبا يأتون قبيل وقت الصلاة فيتدارسونه حتى اذا ما سمعوا الاذان قاموا الى الصلاة وبهذا يحصلون على اجر تلاوة القرآن واقام الصلاة في أوقاتها الخمسة ، وكذلك كانوا يؤمون المسجد الجامع ظهر يوم الجمعة لأداء فريضتها من كل حدب وصوب ، فيجتمعون فيه لانتظار سماع الخطبة واداء الصلاة ، وكل واحد منهم يقرأ ما تيسر له من القرآن ، فكان يسمع لهم دوي كدوي النحل رضوان الله عليهم ، انهم عملوا على قوله تعالى الذي وصفهم به ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاءً بما كانوا يعملون ـ انها نزلت فمن ينتظرون الصلاة لما روى الترمذي عن انس بن مالك ان هذه الآية ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى ـ العتمه ـ . وقال حديث حسن صحيح غريب ، وهو صلى الله عليه يقول فيما رواه مسلم وأبو داود ـ لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة تقول ، اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، حتى ينصرف أو يحدث ـ الحديث ووعوا الاحاديث الكثيرة التي سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة الصلوات وصلاة الجمعة التي سيأتي بعضها في الكلام على ـ الخطبة والخطباء ـ في غير هذا الكتاب ، فكل هذا وذاك جعلهم يتسابقون الى المساجد الجامعة لانتظار الصلاة ونيل اجرها وكان الذي يحصل على الصف الاول بعد سعيدا فائزا .

وبدلا من ان يقعدوا بعد ركعتي تحية المسجد صامتين ربما اشغلت قلوبهم بما لم تفرض الصلاة له ، وانهم سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير عن فضائل قراءة القرآن ورووه لمن بعدهم منها ما رواه مسلم وأبو داود عنه صلى الله عليه وسلم في ذيل حديث طويل جامع ـ وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون آيات الله ويتدارسونها بينهم الا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده ـ الحديث ، لذا كانوا من اشد الناس مدارسة للقرآن العظيم في أوقات فراغهم من اعمالهم خاصة اذا جلسوا لانتظار الصلاة وسماع خطبة الجمعة وهم في دراستهم جادون ، وفي فهم معانيها راغبون .

يضاف الى هذا كله ان هذه الطريقة كانت خاصة على تعليم القراءة والكتابة ، ومشجعة له ، لما ينتظرهم من حمل اعباء الدعوة ، وتبليغها الناس ، وليحظى كل واحد منهم بفضيلة حمل القرآن وتعليمه ، للأحاديث والآثار التي رويت فيها منها ، ما رواه البخاري والترمذي عن الامام علي والحاكم وابو داود والترمذي وابن ماجه عن عثمان رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال ـ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ـ وما رواه الغزالي في الاحياء من قول ابي أمامة ـ لا يعذب الله قلباً هو وعاء للقرآن ـ وما رواه أبو نعيم من فضائل القرآن ـ افضل عبادة أمتي تلاوة القرآن ـ كما كانت تركنا أساسيا لمحاربة الامية والقضاء عليها من طريق اكتساب الثواب ، وتحصيل الفضيلة والكمال ، وقد ذيل الامام الحافظ بن كثير تفسيره بفضائل القرآن افرد بكتاب خاص نشرته دار الاندلس واحسنت النشر[1] .

بقيت هذه الحالة حيناً من الدهر حتى رؤي ان هذه الطريقة على هذا الشكل لم يأمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يمنعها وكأنه ترك هذا الى رغبة المسلمين وصالحهم لانه امر خيري ، والامور الخيرية كلها مستحسنة شرعا وعرفا وموكولة الى ما فيه مصلحة المسلمين وسعادتهم ما لم

---

(١) فصلنا هذا في كتابنا ـ مقدمة مقاصد القرآن ـ لم يطبع .

تكن من أصول الدين وقواعده ، وما دام الامر كذلك فلا بأس اذن من ان يغيروا هذه العادة بمثلها خاصة وان مشروع المدارس آخذ بالأزدياد ، وان هذه المدارس اخذت على عاتقها تلقين القرآن وتعليم القراءة والكتابة وكلما تدعو اليه متطلبات الزمان والمكان ، وتحتاجه الدولة من العلوم النقلية والعقلية ، وان هذه العلوم انتشرت بين افراد الامة الآخرين بالعلم والعرفان ونبغ فيها كثيرون من ابنائها ، وان الامية يمكن معالجتها بواسطة هذه المدارس المستحدثة ، وقد دخل في الاسلام امم غير عربية تحتاج الى تدبر معاني القرآن الكريم ، وفهم مقاصده وتوجيهاته عن طريق الاصغاء والاستماع الى من يرتله ويجوده بحق ، وقد قال سبحانه ـ واذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ـ وكان صلى الله عليه وسلم يحب استماع القرآن من غيره ، ويشجع عليه ، وانه استمع ذات ليلة الى عبدالله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم ـ من أراد ان يقرأ القرآن غضاً كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد ـ رواه الامام أحمد كما في الاحياء وقال لابن مسعود ـ اقرأ عليّ فقال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال صلى الله عليه وسلم ـ اني احب ان اسمعه من غيري ، فكان يقرأ وعينا رسول الله تفيضان ـ رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود ، كما استمع صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى يوما فقال ـ لقد اوتي هذا من مزامير آل داود ـ رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ـ من استمع الى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة ـ رواه الأمام احمد وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن ، وكان الأمام عمر يقول لأبي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المؤمنين الصلاة . الصلاة ، فيقول اولسنا في صلاة اشارة الى قوله تعالى ـ ولذكر الله اكبر ـ كذا في الاحياء للأمام الغزالي رحمه الله .

فهم الخلف مقاصد السلف من كلتا الحالتين بالأضافة الى التطورات الزمنية واحداثها فعمدوا الى بناء المحافل في المساجد الجامعة وتهيئتها للمقرئين فمنهم من صنع كرسياً من الخشب بشكل خاص يجلس عليه القاريء والناس من حوله يستمعون آيات الله ويتدبرونها بلهف وشوق كما هو الحال في مساجد مصر الجامعة ومن حذا حذوهم ، ومنهم من جعل المحفل في الجدار المستقبل القبلة من الحرم ليكون تجاهها يرتقى اليه بسلم من الخشب او الحديد او الحجارة يجلس فيه جمع من القراء يتناوبون القراءة عليه باصواتهم الحسنة الشجية وادائهم الجيد ، والناس تحتهم وهم مستقبلو القبلة يصغون الى آيات الله تتلى عليهم ويتدبرون معانيها ، ويقفون على صحة الفاظها وادائها بكل ادب واحترام كما هو الحال في مساجد بغداد الجامعة ومن نحا نحوها .

ورتبوا لهذه المهمة الشريفة قراء منتخبين بحسن الصوت ، واجادة الترتيل ، والأداء ، عملاً بقوله تعالى ـ ورتل القرآن ترتيلا[1] ـ وقوله صلى الله عليه وسلم ـ زينوا القرآن باصواتكم ـ رواه جمع من اصحاب الصحاح عن البراء بن عازب .

وطريقة القراءة في مساجد مصر الجامعة وما على شاكلتها يقرأ القاريء ظهر الجمعة قبل خطبتها وصلاتها سورة الكهف على ما شاهدناهم واستمعنا اليهم كأنهم اتبعوا هذه السنة لأحاديث صحيحة وردت في فضيلة هذه السورة .

واما في مساجد العراق الجامعة ومن نحا نحوها فيقرأ من اول سور القرآن ما تيسر في كل جمعة وهكذا حتى يؤتى الى آخره فيهدى ثواب هذه الختمة الشريفة الى واقف المسجد الجامع الذي تليت هذه الختمة فيه والى المسلمين والمسلمات جميعاً ، وهذه الطريقة اكثر فائدة ، واعم نفعاً ،

(١) المزمل ـ آية : ٤ .

للفوائد والمنافع العامة المكتسبة من تلاوة جميع سور القرآن وآياته على المستمعين والمستمعات ، بالأداء الكامل ، والأصوات الحسنة كما لا يخفى .

وخصصوا لهم مخصصات مناسبة في كل مسجد جامع وجعلوها من الوظائف العلمية الملزمة الأداء والمواظبة في ظهر كل يوم جمعة ، وصباح كل عيد للغرض المتقدم الذكر ، ولم يمنعوا من اجتمعوا لمدارسة القرآن وانما حبذوها ، ورغبوا فيها جمعاً بين الطريقتين ، وتحصيلاً لأجر السنتين الحسنتين .

ومن هذا يتبين بوضوح ان السلف والخلف لم يكونوا مخطئين في وجهة نظرهم التي اقتضاها صالحهم ، ومصلحة زمانهم ، وأنهم ارادوا بما سنوا وجه الله ، ونيل الأجر والثواب ، وبلوغ سعادة الدارين بما عالجوا فيه تصحيح القراءة ، وانتهاز فرصها في انتظار الصلاة ، ولكل امرىء ما نوى .

كما انهم اعتنوا في كل هذه المنشآت المستحسنة في المساجد والجوامع اعتنوا ايضاً بتأثيثها وفرشها بما يلائم كل فصل ، وزودوها بما تحتاجه من وسائل الراحة صيفاً وشتاءً ، ففي الشتاء تفرش المعابد بالمفروشات الصوفية كالسجاد الأيراني والطنافس البديعة ، وبين كل صف وصف وضعت اخشاب تعلو قليلاً عن ارض المصلى توضع عليها احذية المصلين لئلا يقع منها شيء على فرش المصلى فيلوثها . وهي كالسترة بالنسبة للمصلى ومن اقوال الفقهاء ـ يؤمك ولا يغمك ـ والآن زودت مديرية الأوقاف بعض المساجد بدواليب مرتبة لوضع الأحذية وحفظ المسجد مما علق فيها ، وهو عمل حسن ايضاً ، وفي الصيف تفرش بالفرش القطنية الممتازة التي تصنع خاصة للمساجد والجوامع بحجوم مقدرة طولاً وعرضاً تسمى ـ المدات ـ وباواني الماء الفخارية الكبيرة منها والصغيرة تعرف بـ ـ الكوازية ـ نسبة الى الكوز وهو الأناء الفخاري الذى

يشرب به الماء ، وبكل ما تتطلبه الحياة المدنية الحاضرة من التنوير بمصابيح (كهربائية) ومراوح كذلك وبعضها زودت بـ [ايركلر] الباعث للهواء البارد الرطب وبمبردات مائية وكثير منها زودت بمكبرات الصوت لأيصال الاذان وتلاوة القرآن وخطب الجمع والمواعظ التي تلقى في اوقات مختلفة الى اكبر عدد ممكن ومسافة مستطاعة ، ليجد الباحث ضالته في العصر الذي يعيش فيه عصر الذرة ، عصر غزو الفضاء والبحث عن اجرامه السماوية وما فيها ، فلابد من رعايتها بكل الوسائل الممكنة ، فانها بيوت الله اذن ان ترفع ، ويذكر فيها اسمه ، فمن رفعة مكانتها ان تزود بكل ما يحتاج اليه المتعبد ويدعوه الى المسارعة اليها بكل ما ارتضاه الاسلام وأقر الناس عليه .

ورتبوا لكل مسجد وجامع ما يحتاجه من المدرسين والواعظين والأئمة والقراء والخطباء والمؤذنين والمذكرين والخدم تنفيذاً لشرط الواقف الذي اعتبره الفقهاء كنص الشارع في وجوب القيام به في قولهم ـ شرط الواقف كنص الشارع ـ وذلك لأن الأنسان حر في التصرف بما يملك اذا لم يكن مسرفاً فيه ومبذراً له ، والوقف مما رضي الاسلام به واقره على اهله ، ليضعوه في الموضع الذي ارادوه ، على من ، ولمن ، وفيمن ، مع مراعاة شروطهم التي اشترطوها فيه ، بحدود التوجيهات الشرعية المرعية .

ولم يتركوا هذه الضروريات الزمنية والمكانية ، وهذا الجمع الصالح القائم عليها من غير ان يخصصوا المخصصات المالية الكافية التي تسد حاجة المسجد الضرورية وتغني القائمين على اقامة الشعائر الدينية، والناشرين للعلم بين الطالبين ، والداعين الى ما امر الله ان يدعوا اليه ، ويدلوا عليه ، وتصرفهم عن الأشتغال بغير ما هم قائمون به من الوظائف العلمية والارشادية والبدنية ولينصرفوا اليها دون غيرها .

لا ان هذه المخصصات والرواتب المفروضة لهم خصصت لأجل القيام بفرائض الله على عباده ، لأن أداء الفرائض لا يباح اخذ الأجر عليه ،

لوجوب القيام به على كل مكلف ومكلفة ، بل ان الواقفين خصصوا لهم هذه المرتبات ليغنوهم عن المسألة في حبس انفسهم عن العمل ، وانخراطهم في هذا السلك ، العلمي الديني لنشر العلم ودعوة الناس اليه ، واعانة طلابه وتشجيعهم على طلبه، والأستمرار عليه، وسداً لباب الهروب من هذا الجهاد المقدس ، جهاد العلم والفكر اللذين هما دعامة الجهاد البدني ، وكفاح النفس الأمارة ، ودحر العدو المتربص عدو العلم ، عدو الحق ، عدو الوطن ، عدو الدين ، عدو الأنسانية ، ومن قال خلاف هذا فقوله مردود عليه ، ولا يلتفت اليه ، ولم يصب الحق بقوله ، وماذا بعد الحق الا الضلال .

لهذا وذاك اوقفوا الأوقاف المستغلة لصالح ما اوقفوا من المساجد والمدارس ، وسد احتياجاتها الضرورية ولا يخفى على المطلعين كثرة المستغلات الموقوفة لما ذكرنا ، ووكلوا امر هذه الموقوفات الى من يصلح لادارتها وصرفها على مستحقيها كاملة غير منقوصة بامانة واخلاص ، وعلى تقلبات الظروف وتطورات الأحوال السياسية والأدارية ، سلمت هذه المؤسسات الخيرية في اكثر الممالك الاسلامية الى ادارات حكومية تشرف عليها ، وتتصرف فيها حسب ما تقتضيه مصلحتها الزمنية والادارية باصول ونظم يسنها من بايديهم زمام الحكم والسلطة التشريعية ، ولم يزل قسم من هذه الموقوفات تحت ادارة المتولين وتصرفهم بنظارة رآسة ديوان الأوقاف الحكومية ومحاسبتها .

ويستثنى من هذا الوقف الذري ـ الذي سن له قانون سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م يبيح بيع ما زاد على حصة المسجد من الغلة التي تصرف على مصالح المسجد والقائمين عليها بنسبة ١٠ عشرة بالمائة ووزعت فضلته على المرتزقة من ذرية الواقف او ممن شرط لهم ذلك بحجة ان هذه الأوقاف اهملت فاصبح اكثرها خراباً تنعى من بناها واوقفها ، فاصبح من

الأصلح لها ان يرفع عنها قيد الوقف ، ويتصرف بها من وقفت عليهم ، وهذا مردود بما يلي ، (١) ان الواقف لم يشترط صرف ما زاد على مصالح المسجد الى من اوقف عليهم فحسب ، بل تعداهم بعد انقراضهم الى الفقراء والمساكين وانقراض من شرط اليهم من الذرية او غيرهم ممن خصصهم الواقف ممكن ، وان الفقراء والمساكين من بعدهم لا يعمهم الأنقراض ما دام الأنسان على هذه الأرض حتى يرثها الله ومن عليها وما عليها ، (٢) ان حجة الاهمال غير مقبولة لوجوب عزل المتولي اذا لم يقم باصلاح الوقف بان اهمل او قصر ، والحجة قائمة على المسؤولين عن محاسبة المتولي على تصرفاته المضرة بالوقف وعزله عما اسند اليه من امر الوقف دون غيرهم ، (٣) ان اباحة بيع الوقف للمرتزقة خيانة لحق الفقراء والمساكين ، وغصب لما سيؤل اليه بعد انقراض هؤلاء المرتزقة المحصوصين ، وهو ممكن وواقع لا يحيله العقل ، ولا يستبعده الشرع .

ومن هنا جاءت شبهة عدم الجواز في بيع الوقف الذري وشرائه لتعلق حق الفقراء والمساكين ، وغصب هذا الحق الذي شرطه الواقف لهم على ما ذهب اليه اكثر اهل العلم والفتوى ، على ان بعض اهل العلم من السلف والخلف ذهبوا الى جواز تصفية الوقف الذري ، ومنهم من اجاز للواقف الرجوع عن وقفه ، وبيعه اذا احتاج اليه ، أو اراد ذلك قبل الحكم بوقفه ، ومنهم من فصل ومنهم من اوجز ، غير ان جمهور العلماء ذهبوا الى ما ذهبنا اليه من عدم الجواز . وهو ابقى لحق الفقير ، وادوم لبقاء حسنات الواقف في صدقاته الجارية من قوله صلى الله عليه وسلم ـ اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية . أو علم ينتفع به . او ولد صالح يدعو له ـ رواه مسلم قال تعالى ـ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يؤمئذ آمنون[1] ـ وقال ـ من جاء بالحسنة فله

---

(١) النمل ٢٧ آية ٨٩ .

عشر امثالها[1] ـ ومن الظاهر ان هذا العمل كله حسنات قدمها فاعلوهـا لوجه الله وحبه ومرضاته ، والهدى النبوى اوضح هذا وابانه فيما رواه مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي عن بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ـ من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شـيء ، ومن سـن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيء ـ وروى الطبراني عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ـ من سن سنة حسنة فله اجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته ، حتى تترك ، ومن سن سنة سيئة فعليه اثمها حتى تترك ، ومن مات مرابطاً جرى عليه عمل المرابط حتى يبعث يوم القيامة ـ وفي كتب الحديث احاديث صحيحة تشير الى فضل وجزاء من سن سنة حسنة بهـا ينتفع الناس ، وعليها ينهجون ، واليها يدعون .

فضيلة المعابد وفضلها على البشرية

من تتبع الآيات القرآنيـة ، والأحاديث النبويـة ، وما دبجه يراع الباحثين المخلصين تجلت له فضيلة المعابد وعظمتها في الاسـلام ، وبدت ظاهرة لذي عينين ظهور الشمس المنكشف عنها السحاب عند ضحوتها منيرة وهاجة ، ترسل اشعتها على ما اشرقت عليه ، واشارت بنورها اليه ، هـذا طرف منه ، نعرضه على القاريء الكريم حجة له ولنا عـلى اولئك الذين انكروا ما للمعابد من فضل على البشرية عظيم .

قال سبحانه ـ وان المسـاجد لله فلا تدعوا مع الله احدا[2] ـ فنسـب

---

(١) الانعام ٦ آية ١٦٠ .

(٢) الجن آية ١٨ .

المساجد له لا لغيره للدلالة على سمو مكانتها ، وعلو منزلتها عنده ، ومن عرف ان لله ما في السموات وما في الأرض ، وان (ما) عامة في جميع الموجودات الكونية عرف مقدار شرف المعابد المخصصة من هذا العموم ، وانها فضيلة لم تنلها بقعة من بقاع الأرض الأخرى التي يؤمها الناس وفيها يجتمعون ، وقال سبحانه وهو يخاطب الناس عموماً ـ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد[1] ـ امر عز وجل بعد نداء بنى آدم ليكون الأمر ابلغ وأكد ، والزم حجة بان يأخذوا احسن هيئاتهم واجملها في بيوت الله ، وهذا دليل آخر على رفعة منزلتها وعلو مقامها عنده سبحانه فلولا ذلك لما امروا بأخذ الزينة التي يتحلى بها الذين يواجهون العظماء ويحلون في المجتمعات المهمة ذات الخطر والشأن العظيم ، كما انه جل شأنه جعلها متقد نور هدايته ، بعد ان وصفه وصفاً دقيقاً يأخذ بمجامع القلوب ويرميها في فردوس السرور ، ـ في بيوته اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ـ ، فنص على ان هذا النور الذي مرت اوصافه جعله الله يشع في بيوت نسبت اليه ، فاذن للناس ان يرفعوها برفعة مقامها وعلو مكانها بالباقيات الصالحات، ويذكروا اسمه الكريم فيها مع ان ذكر الله في كل مكان وزمان من لوازم العبادة وشعار العابدين العقلاء الذين وصفهم بقوله تعالى ـ ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار[2] ـ وفي هذا كما في ذاك من الدلائل الواضحة على ما تتمتع به بيوت الله من قدسية عظيمة، ومحل رفيع ، ومنزلة سامية .

هذا بعض ما قاله الله تعالى ناصاً على فضيلة بيوته وهذا بعض هديه

---

(١) الاعراف آية ٣١ .

(٢) آل عمران آية ١٩٠ وما بعدها .

صلى الله عليه وسلم مما رواه الثقاة الثقاة كابراً عن كابر حتى وصل الينا ، ووجب تبليغه الناس علينا لنكون بحق ممن سمع ووعى ، وبلغ وروى ، قال صلى الله عليه وسلم ـ قال الله في بعض الكتب ان بيوتي في ارضي المساجد ، وان زواري فيها عمارها ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي ، فحق على المزور ان يكرم زائره ـ الحديث رواه ابو نعيم عن ابي سعيد الخدري وذكره الغزالي في الاحياء ، وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ـ احب البلاد الى الله مساجدها ـ وقال ـ احسن البقاع الى الله المساجد ـ رواه الأمام احمد وقال ـ خير البقاع المساجد ـ رواه الطبراني في الكبير ، نراه صلى الله عليه وسلم يقول مرة خير البقاع المساجد وتارة احسنها وأخرى احبها كل هذا يدل على رفعتها وعلو مكانتها وقدسيتها في الهدى النبوى ايضاً وفي نفس النبي الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم ، وهذا التصريح الصريح وذاك اقرار بفضل المعابد وحرمتها لأنها زيادةً عن كونها مساجد عبادة لله تعالى وحده فانها مدارس دين ، ومعاهد علم ، ودور ثقافة ، ومصدر اخلاق ، ومنبع فضيلة ، ومصنع ابطال ، ومبعث رجولة وجرأة وشجاعة ، وتدريب فتوة واقدام ، ومجالس مساواة وحشمة واحترام .

هذه فضيلة المعابد في نظر الأسلام ومشرعه من حيث هي ، وأما فضلها على البشرية فعظيم وعظيم جداً ، اذ كما انها مأوى عبادة وملجأ صلاح وتقوى ، فانها معاهد ثقافة صحيحة ، وساحة تدريب على كل ما تطلبه الحياة الدينية ، والأجتماعية ، والسياسية والحربية والسلمية ، تقود روادها الى المكارم ، وتعلمهم على تحمل الصعاب الشداد في سبيل الظفر بالنصر الأكيد ، وتدلهم على سعادة الدارين ، بالصبر على المكاره ، والتمسك بعرى الفضيلة والكمال ، والأستقامة على اداء ما عليهم بامانة واخلاص ، فيشبوا على ارتضاع لبان العبقرية الفذة ، المنبعثة من صدور الراسخين في العلم ،

العاملين عليه ، ومن شب على شيء شاب عليه .

انها نبراس علم يضيء لطالبيه طريق الاصلاح ، ويدلهم على معارج السودد ، وسلالم المجد والفخار ، وتفتح باب فهم الحقائق الناصعة التي خفيت على الناس معالمها ، وطمرت كنوزها ، وينبوع اصلاح عذب ماؤه لذة للشاربين ، به تجلو الأدران عن القلوب لترى حقائق المعلومات بيضاء من غير سوء ، انها دائرة ، امن عام سلمي لا تحتاج الى حراب ولا سلاح ، ولا الى بشداد غلاظ ، تحافظ على الأمن بدعوة الارشاد والنصيحة اللذين هما اكبر رادع للنفوس الواعية عن ارتكاب الجرائم ، واعظم مرب لها تربية لا تدع مجالاً للمردة عما دربت عليه ، ووجهت اليه ، تطهر القلوب من دنس الحقد ، وغطرسة الكبرياء ، وتطرد عنها الموبقات الى غير رجعة ، وتجردها بالموعظة الحسنة عما تعجز القوى الألزامية عن ازالته بما تستعمله من ضرب ، وحبس وتشديد ، وبما تستعين به من رجال وعتاد ، فهي بهذا وذاك لها فضل على الأمن المدني لايداتيه فضل ، ومعروف لا يقاربه معروف كما لا يخفى على ذوى البصائر النيرة ، والقلوب الواعية .

والمعابد الى جانب هذا كله تعلم الانسان المتعبد كيف يكون مطيعاً ممتثلاً صابراً على اداء الواجبات والقيام بها في اوقاتها ، كما تعوده على التواضع لبني جنسه الذين لا يمتاز عنهم الا بما يقدم من عمل صالح ، وخدمة عامة ، تأخذ بيده الى التعارف والتعرف باخوانه في الدين والانسانية وتكسبه محبتهم واخلاصهم له ، والأنسان كثير باخوانه ، وقالوا :

أخك اخاك ان من لا اخاً لـه كساعٍ الى الهيجا بغير سلاح

كما انها كانت [برلماناً] سياسياً يلقي من على منابرها امير المؤمنين خطاب العرش الذين يبين فيه سياسة حكومته الصادقة العاملة للأمة والوطن ، ويعطى حق الأعتراض على اية فقرة يعتبرها المستمعون انها غير صالحة لدينهم ودنياهم ، وعلى اي عمل يريد القيام به ، وفي التاريخ شواهد

على هذا كثيرة ، تكفي القناعة بما روى من قول الأعرابي لعمر عندما قام خطيباً في المسجد وقال ـ من رأى فيّ اعواجاجاً فليقومه ـ فرد عليه ذلك الأعرابي بقوله ـ والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا ، ورد تلك المرأة على عمر في تحديد الصداق واستشهادها بقوله تعالى ـ وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً اتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً[1] ـ وكذلك كان الحال مع الخلفاء الراشدين ومن بعدهم رضوان الله عليهم ، كما كانت رايات المجاهدين تعقد فيها وتخرج منها لنشر الدعوة ، واحقاق الحق ، وازهاق الباطل ولو كره المبطلون ، كما كانت المجالس النيابية ، ومجالس الشورى تعقد في رحابها ، تارة تراها كذلك ومرة تجدها اندية ادبية يتساجل فيها الشبان المؤمنون الأشعار الحماسية ، والخطب النارية ، ويتدارسون آيات الله تعالى ، ويصغون الى معانيها ومقاصدها ، وما تدعو اليه ، وتحض عليه ، ويتلقون الهدى النبوي من الحفاظ المحدثين ، ويتقبلون كل هذا بقبول حسن .

كما انها لا تدع فاصلة تنسى المصلي بانه مخلوق صغير يحاسب على ما يقترف من ذنب ، ويجازى على ما يعمل من معروف ، وانه مهما مدت حياته منتقل الى مثواه الأخير ، ومسؤول عما اكسبت نفسه ، وقدمت يداه ، يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون ، الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ، ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا .

هذا كله زيادة عما يتمتع به السمع من آيات الله تعالى وعظاته آناء الليل واطراف النهار ، ومن هدي رسوله ، وآثار صالحي الأمة وهداتها المصلحين ، ولو اتينا باقوالهم وتوجيهاتهم التي كانت تنبعث من المعابد الى

---

(١) النساء ٤ آية ٢٠ .

ما حولها وتزود الآمين اليها بما ينتفعون به وينفعون ، لأحتجنا الى قراطيس وقراطيس ولكنا نكتفي بما ذكرنا مما اوجزنا على قاعدة ـ ما قل ودل ، خير مما كثر ومل ـ ، ورب اشـــارة ابلغ من عبارة ، وان المليب تكفيـــه الأشـــارة .

هذا ما قلنا ، وهذا بعض ما قاله منصفو الغربيين في عظمة المســـاجد وفضلها على الناس ، قال المستر هانتر الانجليزي في كتابه ـ المســـلمون الهنديون ـ [ان مساجد الأسلام لا تصنعها الأيدي ، وان شعائره الدينيـــة يمكن ان تقام في اي مكان على ارض الله ، وتحت سمائه ، هذا هو مثـــال عقيدة الاسلام] وقال الأســـتاذ الدكتور ليتر بعد كلام طويل ، ـ وفي المساجد ترى المساواة التامة بين المصلين فلا يوجد فيها مقاعد خاصة بأحد ، واي امام كان يمكنه ان يؤم المصلين ، ولا يوجد منظر ابهج ولا ارهج من منظر جماعة من المسلمين يصلون وهم خاشعون صامتون .

وقال العلامة وبلاتونون في كتابه تاريخ العالم بعد كلام طويل ـ فهذه العصابة المتدينة التي نشأت في المدينة جعلت من المسجد النبوي في المدينـــة مركز حياة دينية اخذ ينمو ويتسع الى ان انبعث منه انوار المعارف الكلامية والفقهية في القرن الثامن وظهر اولئك الأئمة في علم الشريعة .

وقال السير س.بس.راي. الانكليزي ، الأسلام اكثر الأديان عظمة وديمقراطية فهو المساوي الكامل للأنسانية ، وانك لو كنت وضيعاً واعتنقت الأسلام لأرتفعت حالاً الى مستوى اي مسلم آخر وفي المسجد يصـــلي السلطان والأمير والشحاذ والســـقاء والعامل جنباً الى جنب والأســـلام لا يعرف معنى التمييز باللون .

وقال الاستاذ ـ هنرى روبتسن ـ في كتابه ـ معضلة المدنية ـ بعد كلام طويل بين فيه فضائل الأسلام وفضله على المدنية وعلى العالم اجمع

ومسجد المسلمين او محل عبادتهم انما هو بيت للصلاة ، وموضع لقراءة القرآن فلا محاريب ، ولا تشابيه ، ولا تصاوير ، ولا يمكن ان يسمح بشيء من ذلك وفي الأكثر تجد المساجد جميلة جداً خاصة في مدن المسلمين الكبرى كالتي في القدس ودمشق والقاهرة والقسطنطينية ، ولهذه المساجد ساحات واسعة تحيط بها اساطين منقوشة ، وهي محلاة بالرخام الجميل والفسيفساء ، ولها نوافذ مبهجة ذات زجاج ملون لماع ، وتجد جدران المسجد محلات بآيات القرآن ، وقيعانه مفروشة بالطنافس الثمينة ، وللمسجد منارة واحدة او اكثر يدعو المؤذن من اعلاها المسلمين للصلاة في كل يوم خمس مرات ـ اهـ .

هذه بعض فضائل المعابد وفضلها على العالم شهد الله به في قرآنه والرسول في حديثه ، وصلحاء الأمة وأئمتها في آثارهم ، كما شهد منصفو الغربيين من دكاترة واساتذة ومستشرقين باحثين مؤرخين على فضل هذه المعابد على البشرية وفضل الاسلام الذي دعا اليها ، وحض عليها : ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ، وما ارسلناك الا رحمة للعالمين .

خاتمة

تبين مما عرضنا من انظمة المعابد التي سنها النبي الخالد صلى الله عليه وسلم وابان ما يجوز فيها ، وما يباح ، وما يحرم ، وكيف كان بناؤها بسيطاً اول الأمر ، ثم تدرج في التحسين ، والتنظيم الهندسي ، وابداع ريازته ، وما احدثه المسلمون فيما بعد ، حسب مقتضيات العصور التي مرت عليها ، والتطورات الزمنية والمكانية التي اوحت اليهم ما احدثوا فيها من محاسن مبتدعة بالنسبة الى الأمم التي اجابت دعوة الاسلام ، وحطت رحالها عنده ، والبلاد التي دعت ظروف مدنيتها وموقعها الجغرافي ، وتقلبات فصولها واحوالها الجوية ، ان تبنى المعابد على الطراز الذي يلائمها من غير ان يكون فيه ما حرمه الاسلام على اهله ، او منعهم منه .

وظهر لنا منحا هذه المعابد في توجيه الناس ودعوتهم الى ما فيه فلاحهم وسعادتهم في الدارين ، وان رجالات الأسلام ونسائه والحاكمين فيه، والمتولين على تراثه لم يألوا جهداً في تعمير بيوت الله باموالهم وجهودهم الجسمية والفكرية ، وعمارتها في صلاتهم وانعكافهم على سماع ما يتلى فيها من آيات الله وهدي رسوله ، والتوجيه النافع بالقول والعمل من رجال العلم والمعرفة ، وقادة الفكر الراسخين في مفاهيم حقائق ما بنيت المعابد لأجله ، وشيدت بسببه ، يوم كان المسلمون يقدرونها حق قدرها ، ويتسارعون الى الأرتشاف من فيض ينابيعها العذبة المستطابة ، ويسيرون على ضوء مشكاتها عن عقيدة وايمان .

ورجال الدولة أمراء المؤمنين، قادة الأمة ، في طليعة المتعبدين يؤمونهم في صلاتهم ، ويلقون عليهم ما امر الله به ، خروجاً عن العهدة التي أخذها

الله على من ارتضاه المسلمون لدينهم ودنياهم ، وهم في مأمن على ما أمنتهم الأمة عليه ، واعطت قيادها لهم ، والأمة في سلامة ممن تحدثه نفسه العبث في أمنها ، والسيطرة على مقدراتها ، واهمال الحفاظ على تراثها الديني والخلقي والسياسي ، والتفريط في قواها الحربية ، الدفاعية والهجومية ، كلهم جنود مجندون في سبيل الحفاظ على وطنهم ودولتهم ومعتقداتهم وما يملكون ، عاملين على ما نص الله عليه ، ودعاهم رسوله اليه وهم بحبله معتصمون ، لا يتفرقون ولا يختلفون ، عملا بقوله تعالى ـ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تتفرقوا[1] ـ .

لم يجد الخلاف الى قلوبهم منفذا ، ولا الى نفوسهم مدخلا ، لعلمهم ان في الخلاف والتنازع اضعافاً لقوتهم ، وذهاباً لريحهم ، لما علمهم الله تعالى بقوله ـ واطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين[2] ـ .

يعتقدون ان وحدة الأيمان جمعتهم وجعلتهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فاذا رأوا منكراً نهوا عنه وامروا بالمعروف ، طاعة لله تعالى وامتثالاً له لقوله تعالى ـ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم[3] .

فاذا ما كانوا كذلك بتأثير الدروس التعليمية وتوجيهها نحو ما هو صالح لهم وللمجتمع الذى يعيشون وسطه ، والأرض التي يأدون اليها ، كانوا وحدة لا تتجزأ مجمعة على التعاون والتعاضد والاقدام ، آخذين بما

---

(١) آل عمران ٣ آية ١٠٣ .
(٢) الانفال ٨ آية ٤٦ .
(٣) التوبة ٩ آية ٧١ .

امرهم الله به في قوله ـ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم[1] ـ .

فامتثلوا هذا الأمر واعدوا العدة المستطاعة التي تردع الواقفين امام سير الدعوة والحانقين عليها الذين لم تفدهم النصائح والعظاة ، بل اصروا على عنادهم وكفرهم وقالوا ما حكاه الله عنهم في قوله ـ وقالوا في قلوبنا اكنة مما تدعونا اليه ، وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون[2] ـ .

امتلأت قلوبهم ايماناً بالنصر ، ونفوسهم املاً بالظفر ، فخرجوا من المعابد يحملون دعوتها ، ويدعون الناس اليها ، فمن اجاب فله مالهم وعليه ما عليهم ، ومن صد عنهم واعترض سبيلهم سلوا عليه سيف الحق ، وابادوا به باطله ، وانقذوا الناس من شره وكفره وهم صابرون صامدون . بهذا انتصروا على اعدائهم ، ونجحوا في كل ما قاموا به ، واقدموا عليه ، وجاءتهم ملوك الأرض وشعوبها طائعين مذعنين ، وانضووا تحت رايتهم عن قناعة وايمان ، وهابتهم اعداؤهم ، ولم يجرؤا على ان يسلبوهم شيئاً ، او ان يمسوا كرامتهم ببنت شفة ، او يحدثوا انفسهم بالأساءة اليهم من قريب او بعيد وهم مهابون محترمون .

انها لحق مصانع رجال ، ومعاهد ثقافة ، ورباط ابطال ، ومعسكر جهاد ، ورابطة اخوة لا انفصام لعراها ، انها مجمع الفضائل ، ومرسى الكرامات ، انها بيوت الله اذن ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، ومن دخلها كان آمناً ، انها برلمان امة ، ومجلس شورى ، ومصدر احكام وديوان تشريعات ، ومبعث ثورة ، على الذين لا يدينون دين الحق من الذين نكصوا على اعقابهم خاسرين .

---

(١) الانفال ٨ آية ٦٠ .
(٢) فصلت ٤١ آية ٥ .

انها كانت كذلك في عصورها الذهبية ، عصور الدولة الاسلامية الموحدة الممالك ، المتصلة الحلقات ، عصور الفتوحات والأنتصارات يوم :

جَبى الرشيدُ خراجَ المزن متكأً على اريكةِ ملكٍ عزَّ سلطانا

واليوم

واليوم يوم عصر الذرة ، عصر الهيدروجين ، عصر اختراق الأجواء الكونية ، عصر غزو الفضاء العلوي ، عصر الغلبة للقوة ، والدمار للعاجز الذي انحرف عن سبيلها فتاه في بيداء التأخر ، يطلب الخلاص ، ولات حين مناص .

انها القوة التي دُعي المسلمون الى اعدادها بعد الأيمان فتقاعسوا عنها ، وفروا منها ، فكالب عليهم من جعل الله منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوة ، الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر منها الأنهار ، وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما يعملون ، انهم الصهاينة اليهود .

انها في بيوت الله ومساجده مشع نوره ومصدر قوته وملتقى احبته الذين يقولون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

انها – اليوم – بحاجة الى من يرعاها حق رعايتها بالتعمير والاعمار لا من افراد الأمة فحسب بل من الذين حكموا الأمة واقسموا ان يعدلوا في حكمهم بما حكم الله وهو خير الحاكمين ، وان يرعوا مصالح الأمة حق رعايتها ، ومن اهم مصالحها عمارة بيوت الله التي تأوى اليها اذا ما حزبها امر من الأمور وتستثير بتوجيهاتها الصائبة ، وتتزود من ثمارها اليانعة ، ليتجدد نشاطها الذي كان مبعث ما روينا عن السابقين الأولين . ومصدر ما تحدثنا عن القادة الميامين .

لا اقول هذا جزافاً فان الأدلة المستنبطة من الآثار التي تركها الأولون

في المساجد الباقية الأثر في العالم الغربي والشرقي ، وما حفظ التاريخ من اخبار معنعنة مسلسلة عن اخبارها تدعم قولنا ، وتؤيد دعوتنا الى الرجوع للمعين الأول والأغتراف من مائه العذب المستطاب لمن أراد الشفاء من علل التأخر ، والنجاة من آفات الاضمحلال ، والقيام من عثرات النكسات والنكبات المتوالية على الأمة وابناء الأمة ووطن الأمة ، وحفظ كرامتها مصانة من دنس الأعتداء ، وجور الأعداء المجرمين •

فاذا ما تظافرت الجهود المنبعثة من المسؤلين عن ادارة المعابد، والقائمين على اداء الوجائب الدينية ، اولئك بالصرف من غير بخل ولا تقتير مما اوقف الواقفون عليها وعلى موظفيها بما تقتضيه الأحوال الزمنية والمكانية من جهود متواصلة ترجع اليها مكانتها ، وقدسيتها ، وترفعها الى المقام الذي اراد الله ان ترفع اليه ، من غير ثوانٍ ولا بطىء فان الحالة التي آلت اليها بيوت الله لا تسمح بالتقاعس عن العمل الجدي ، وانقاذها عاجلاً من الحافة التي وصلت اليها ، ولسان حالها يقول :

فان كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ والا فادركني ولمّا أُمزّقِ

وهؤلاء بالقيام على واجباتها العلمية والبدنية بشد مأزر العمل المتواصل من غير تراجع ولا ملل ولا تأخير ، والدوام بالمواظبة على ما رتبوا لأجله ، ووظفوا له ، لأعادة ما كانت عليه هذه المساجد الجامعة لشتات الأمة في اليوم خمس مرات ، وفي الاسبوع مرة بخطبة الجمعة وصلاتها ، وفي السنة بالعيدين •

والمزودة من دخلها ، بالعلم والعمل ، والموجهة روادها الى ما فيه تقدم الأمة ورفعة مكانتها بين الأمم ، والمدربة على فعل الخيرات ، واجتناب الموبقات ، فكما ان اولئك المرتبين لادارتها ، والحفاظ على قدسيتها ، ورعاية اوقافها المحبوسة عليها ببقائها صالحة عامرة ، وسد احتياجات القائمين على

ما شرطه الواقفون الخيرون ، مسؤولون عن هذا كله فان هؤلاء المرتبين للقيام بالواجبات العلمية والبدنية من مدرسين ووعاظ وأئمة وقراء ومؤذنين وخدم مسؤولون أيضا عما عهد اليهم ، وعول في القيام به عليهم .

هذا من ناحية المسؤولية الادارية ـ اليوم ـ واما المسؤولية الاخروية الآتية ـ غدا ـ لأولئك وهؤلاء هي مسؤولية ـ التاريخ ـ والاجيال القادمة تعقبها المسؤولية الكبرى امام الله تعالى الذي يقول بعد ذكر الوصية ـ فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، ان الله سميع عليم يوم هم بارزون لا تخفى منهم خافية ، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

نعـــم

ان مسؤولية المساجد ـ اليوم ـ وفي كل يوم لعظيمة وعظيمة جدا بعد ان اخذ ـ الالحاد ـ مكانه على ارضنا وديارنا ، وبين ظهرانينا ينفث سمومه في اوساط المؤمنين والمؤمنات ، وشياطينه لا ينفكون عن مواصلة بعث التشكيك في المعتقدات الدينية ودس السم في الدسم لابادة ما في القلوب من بقية ايمان ، ووعي له . ودفاع عنه . ليحل محله ما جندوا له ، وبعثوا فيه . مما لم يأذن به الله ولم يرض عنه رسوله ، وصالحوا المؤمنين ، وهم مصرون على هذا وجادون فيه ، ليل ، نهار ، لا يفتأون .

ومن ورائهم وبين ايديهم وعن ايمانهم وشمائلهم وامام اعينهم من يتربصون بهم الدوائر بقعقعة السلاح ، واثارة قتاره ، وازيز الطائرات وقصف مدافعها ، وضجيج الزاحفات ، وصوت قذائفها ، من البر والبحر والجو .

انها نوائب مشتبكة الحلقات ، متصلة الزعقات ، تنبهنا الى الخطر

المحدق بنا • بكياننا • بدولتنا • بعزنا ومجدنا • بمقدساتنا وتراثنا • ونحن عنه لاهون وفي بيداء المنازعات متخبطون •

تنبهنـــا النوائبُ كلَّ يومٍ ولم تزل المعاصي في ازدياد

هـــذه صيحات المعذبين • وزعقات المكبلين • واستغاثة المظلومين • تنبعث من وسط اجيج النيران المرتفعة الاوار ، نيران القدس المكبل • ونيران المسجد الاقصى الملتهبـــة بأيدي الطغاة المعتدين ، والصهاينـــة المجرمين • ومن حولها صراخ الارامل والايتام المنبعثة من نفوسهم المحطمة • والمتصاعدة من قلوبهم المعذبة ، انها حصيلة هذا التقاعس عن القيام بواجب الجهاد المقدس ، والفداء المشرف • والاقدام نحو الموت ، لنيل الحياة ، انها مصيبتنا ـ اليوم ـ ايها القوم فماذا بعد التقاعس الا الاندحار ، وماذا بعد التواني الا الدمار •

فهلموا

فهلموا الى توحيد الصفوف • وازالة الخلافات ، ورفع الشقاق ، ووأد النفاق • والتوجه الى الله • في بيوت الله • والخروج منها متحدين • متفقين • متآخين • مجاهدين في سبيله لاحقاق الحق • وازهاق الباطل • واقامة العدل • والزحف جميعا الى الارض السليبة الى ـ القدس ـ الى ـ الفداء ـ الى ـ الشهادة ـ لتطهير الوطن • واخذ الثأر الذي لا ينام عنه الا الجبناء الذين آثروا الحياة الدنيـا على الآخرة ، وما الحياة الدنيـا الا متاع الغرور •

انهـا

انها بيوت الله ، ومبعث نوره ، ومشرق هدايتـــه ، ومنطلق فيالق

المؤمنين والمؤمنات نحو ما امرهم الله ان ينطلقوا اليه حيث [اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير[1] .

انها مصادر الجرأة والشجاعة والاقدام في كل عصور التاريخ ودهور الزمان ، تنادي بفخر واعتزاز ، بلسان عربي مبين ـ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم[2] .

بغداد : المنصور ٠ الرشيد : ١/٦/١٩٧٠م ـ ١٣٩٠هـ شاكر البدري

---

(١) الحج ٢٢ ـ ٢٩ .

(٢) التوبة ٩ ـ ١١١ .

المساجد الجامعة

في بغداد : الرصافة ـ الكرخ

هذه أسماء بعض المساجد الجامعة المهمة القديمة والحديثة في جانبي بغداد والرصافة والكرخ ، استقيناها من قوائم ديوان الاوقاف وتتبعاتنا الشخصية تمهيدا لوضع كتاب جامع للمعلومات التاريخية عن هذه المساجد الجامعة للصلوات الخمس والجمعة والعيدين ، ومحلاتها وتاريخ انشائها ، وما طرأ عليها من تغييرات اصلاحية ، وما هي عليه الآن .

واما المساجد للصلوات الخمس فقط فهي أكثر وأكثر لم نتعرض لها في رسالتنا هذه وسوف نلحقها بالكتاب الذي عزمنا على تأليفه ان شاء الله رب العالمين .

المساجد الجامعة

في رصافة بغداد ، الجانب الشرقي

الاعظمية وملحقاتها

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
١	جامع الامام الاعظم	محمد منصور الخوارزمي[1]	الاعظمية بجانب جسر الائمة	الاوقاف
٢	جامع الصالح	الحاج صالح ابراهيم	السفينة	متولي
٣	جامع العساقي	عبدالعزيز العساقي	راغبة خاتون	الاوقاف
٤	جامع الصليخ	جمعية الآداب	الصليخ	الاوقاف
٥	جامع الباشا	كاظم باشا	الصليخ	متولي
٦	جامع كامل	كامل الحاج حسن	الصليخ	متولي
٧	جامع سبع ابكار	الحاج محمد طه	سبع ابكار	متولي
٨	جامع الشيخ صالح	الشيخ صالح	حي سومر	متولي
٩	جامع الصليخ الجديد	جماعة خير مع رابطة العلماء	الصليخ	متولي

(١) أنظر تاريخ ابن الاثير ج ١٠ ص ١٢١ حيث بنى الخوارزمي مدرسة بجانب قبر الامام ابي حنيفة رحمه الله ثم اتخذت المدرسة مسجدا جامعا وادخل عليه العثمانيون اصلاحات كثيرة آخرهم والدة السلطان عبدالعزيز سنة ١٢٨٨هـ ثم الخليفة السلطان عبدالحميد اضاف اليه اصلاحات حسنة سنة ١٣٢١هـ وبعد انقراض الخلافة العثمانية لم يأل ديوان الاوقاف جهدا في العناية به والرعاية له بالتعمير والتنظيم .

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
١٠	جامع الدهان	حميد الدهان	شارع الامام الاعظم	متولي
١١	جامع العاني	عبدالهادي العاني	الوزيرية	متولي
١٢	جامع العمري	مصطفى العمري	الوزيرية	الاوقاف
١٣	جامع الخاتون الصغير	عادلة خاتون	شارع الامام الاعظم	الاوقاف
١٤	جامع الوصي	الاوقاف	العلوازية	الاوقاف
١٥	جامع الرواس	الاوقاف	حي القاهرة	الاوقاف
١٦	جامع الصليخ الجديد	جماعة خير	الصليخ	الاوقاف
١٧	جامع ١٨ تشرين	جماعة خير	حي ١٤ تموز	الاوقاف
١٨	جامع جميلة	جماعة خير	حي جميلة	متولي
١٩	جامع بدرية	بدرية ابراهيم الرواف	حي العقاري	متولي
٢٠	جامع الجهاد	جماعة خير	حي الشعب	المتولي
٢١	جامع فلسطين	عبدالستار الشيخلي	شارع فلسطين	متولي
٢٢	جامع الثورة	رابطة العلماء	حي الثورة	متولي
٢٣	جامع الابرار	جماعة خير	حي الضباط	الاوقاف
٢٤	جامع السامرائي	الحاج جاسم السامرائي	بغداد الجديدة	متولي

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
٢٥	جامع السور	الاوقاف	تل محمد	الاوقاف
٢٦	جامع المشتل	الحاج سلمان أحمد	المشتل بغداد الجديدة	متولي
٢٧	جامع ١٤ رمضان	الاوقاف	العلوية	الاوقاف
٢٨	جامع آل جميل زاده		قنبر علي	متولي
٢٩	جامع النعيمي	الحاج عبدالوهاب النعيمي	الكرادة الشرقية	متولي
٣٠	جامع المصطفى	الحاج يونس السامرائي وجماعة حير		متولي
٣١	جامع الازبك	قديم جدده داود باشا	مدخل شارع الرشيد	الاوقاف
٣٢	جامع المرادية	قديم جدده مراد باشا	مدخل شارع الرشيد	الاوقاف
٣٣	جامع الاحمدية	احمد باشا	ساحة الميدان	الاوقاف
٣٤	جامع علي أفندي	علي فندي	مدخل شارع الجمهورية	الاوقاف
٣٥	جامع نازنده خاتون	نازنده خاتون	شارع الرشيد	متولي
٣٦	جامع الحيدرخانة	داود باشا	شارع الرشيد	الاوقاف
٣٧	جامع حسن باشا	قديم جدده حسن باشا	ساحة الشرطة العامة	الاوقاف
٣٨	جامع الوزير	قديم جدده حسن باشا	سوق السراي على دجلة	الاوقاف

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
٣٩	جامع الآصفية	قديم جدده داود باشا	مدخل السوق الكبير على جسر الشهداء مجاور المستنصرية	الاوقاف
٤٠	جامع القبلانية	قديم جدده سليمان باشا	داخل، مقابل المستنصرية	الاوقاف
٤١	جامع الصاغة	قديم جدده آل مصطفى سليم	داخل، جوار المستنصرية	متولي
٤٢	جامع مرجان	مرجان	مدخل سوق الشورجة على شارع لرشيد	الاوقاف
٤٣	جامع الخاتون الكبير	عادلة خاتون	شارع المستنصر	الاوقاف
٤٤	جامع الباجه‌جي	الحاج أمين الباجه‌جي	شارع المستنصر	الاوقاف
٤٥	جامع الخاصكي	الخاصكي	قرب شارع الرشيد	الاوقاف
٤٦	جامع سيد سلطان علي	قديم جـــدده السلطان عبدالحميد	شارع الرشيد على دجلة	الاوقاف
٤٧	جامع الفضل	قديم جدده سليمان باشا	شارع الكفاح	الاوقاف
٤٨	جامع حسين باشا	قديم جدده حسين باشا	شارع الجمهورية	الاوقاف

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
٤٩	جامع حمام المالح	قديم جدده احمد بوشناق باشا	حي حمام المالح	الاوقاف
٥٠	جامع الخاتون	منور خاتون	شارع الجمهورية	الاوقاف
٥١	جامع العاقولية	قديم جدده سليمان باشا	حي العاقولية قرب شارع الجمهورية	الاوقاف
٥٢	جامع قنبر علي	قديم جدده أحد المحسنين وتولي عليه	شارع الجمهورية	الاوقاف
٥٣	جامع لشيخ عمر	قديم جدده اسماعيل باشا	حي السهروردي الشيخ عمر	الاوقاف
٥٤	جامع الشيخ عبدالقادر	(١)	على شارع النضال	متولي

(١) جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني من أهم جوامع بغـــداد التي يؤمها المصلون من جميع أنحاء الوطن الاسلامي. وقد كان اولا مدرسة الشيخ ابي سعيد المخرمي وبعد وفاته تولى التدريس فيها تلميذه الشيخ عبدالقادر حيث اضاف اليها وعمرها بأعانة إغنياء البغاددة وصلحائهم ولما توفى سنة ٥٦١هـ ـ ١١٦٥م دفن فيها ثم اتخذت مسجدا جامعـا ومدرسة دينية يتلقى طلاب العلم دروس العلم وتوجيهاته ، وهكذا كان هذا الجامع ولا يزال تحت رعاية الكيلانيين ونقباء بغداد كابرا عن كابر ، يتولون ادارته ورعايته ، مسجدا جامعا ومدرسة عامرة بالطلاب

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
٥٥	جامع الارفه‌لي	الارفه‌لي	مدخل شارع السعدون	متولي
٥٦	جامع نعيمه الباجه‌جي	الحاجة نعيمة الباجه‌جي	الكرادة الشرقية	متولي
٥٧	جامع النقيب	السيد ابراهيم النقيب	الزعفرانية	متولي
٥٨	جامع الزعفرانية	جماعة خير	الزعفرانية	الاوقاف
٥٩	جامع جسر ديالى	والدة نوري فتاح باشا	جسر ديالى	متولي
٦٠	جامع سلمان باك	قديم جدده أخيرا ديوان الاوقاف		الاوقاف
٦١	جامع سعد بن ابي‌وقاص	فوزية صالح سليمان	دور السكك حي١٤تموز	الاوقاف

كمـــا لم تزل التعميرات والتحسينات قائمة فيه من قبل المتولين عليه خاصة في عهد المتوليين الوجيهين الكيلانيين السيد يوسف والسيد برهان‌الدين اخـــذ الله بايديهما الى ما فيـــه الخـــير والصـــلاح والاصـــلاح الى جانب اهتمامهم بمكتبته العـــامة التي يرتشف الرواد من مناهل الثقافة العامة في شتى العلوم والفنون ، وفق الله المخلصين لخدمة بيوت الله تعـــالى ورعاية معاهد العلم واهله الى ما يحبه ويرضاه .

المساجد الجامعة
في كرخ بغداد : الجانب الغربي

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
١	جامع الامامين الكاظمين	(١)	الكاظمية	الاوقاف
٢	جامع ابي يوسف		الكاظمية	الاوقاف
٣	جامع الحق	جماعة خير	الشعلة	متولي
٤	جامع الاحسان	جماعة خير	الشعلة	متولي

(١) هذا الجامع من العتبات المقدسة عند المسلمين يفدون اليه من جميع الوطن الاسلامي حيث يضم مشهد الامامين موسى الكاظم ومحمدالجواد رضوان الله عليهما ، وخارجه صحن واسع محاط بسور مرتفع ضرب على غرف جميلة كثيرة وزخرف بأحسن الزغارف الكاشانية بقببه ومنائره الذهبية التي تأخذ بالابصار ، يرجع تاريخه الى وفاة الامام الكاظم سنة ١٢٨ هـ ـ ٧٤٥م وجدد عدة مرات حتى سنة ٩١٤هـ ـ ١٥٠٨م حيث استولى اسماعيل الصفوي على بغداد واعاد بناءه على ما هو عليه الآن حتى اكمله سنة ٩٢٦هـ ـ ١٥١٩م ومن بعده ملوك آل عثمان الذين ارجعوا بغداد الى حضيرة دولتهم ولم يألوا جهدا في تعميره والعناية به . وفي سنة ١١٩٨هـ ـ ١٧٨٣م أتم تجديد سور الجامع والمشهد وانشأ بعض البنايات معتمد الدولة (فرهاد ميرزا) احد وجهاء الايرانيين المحسنين فلم يأل جهدا في زخرفته وحسن بناءه وتعميره ، ولا زال هذا الجامع المقدس يرفل بعناية المسلمين وحكامهم ورعاية ديوان الاوقاف ونظارته وفق الله المخلصين لرعاية بيوت الله وعناية القائمين عليها والآمين اليها .

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
٥	جامع فتاح باشا	الحاج نوري فتاح باشا	الكاظمية	متولي
٦	جامع الدباش	الحاج دباش	الحرية	متولي
٧	جامع حامد	أبو حامد الجبوري	الحرية	متولي
٨	جامع الخشاب	الموصلي	الحرية	متولي
٩	جامع حسين	الحاج حسين العاصي	الحرية	متولي
١٠	جامع عثمان	عبدالله عثمان الكويتي	الطوبجي	متولي
١١	جامع زيدان	الحاج زيدان العكيدي	الطوبجي	متولي
١٢	جامع الوشاش	حسن أفندي	الوشاش	متولي
١٣	جامع العمري	شاكر العمري	المعتصم	متولي
١٤	جامع الاسكان	جماعة خير	الاسكان	الاوقاف
١٥	جامع المحمدي	جماعة خير	الجعيفر	الاوقاف
١٦	جامع دراع	الحاج رشيد ادراغ	المشاهدة	متولي
١٧	جامع الشيخ موسى	قديم جدده الشيخ موسى الجبوري	المشاهدة	الاوقاف
١٨	جامع الحداد	آل الحداد	الرحمانية	متولي

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
١٩	جامع الشيخ معروف	قديم جدده والي بغداد حسن باشا	حي الشيخ معروف	الاوقاف
٢٠	جامع الشيخ صندل	قديم جدده بأمر السلطان عبدالحميد	حي الشيخ صندل	الاوقاف
٢١	جامع عطاء	قديم جدده ديوان الاوقاف	حي جامع عطا	الاوقاف
٢٢	جامع ثريا	ثريا معروف	شارع الامام الكاظم	الاوقاف
٢٣	جامع الست نفيسة	قديم جدده ديوان الاوقاف	شارع الامام الكاظم	الاوقاف
٢٤	جامع القمرية	قديم جدده ديوان الاوقاف	على دجلة شارع الامام الكاظم	الاوقاف
٢٥	جامع حنان	قديم جدده ديوان الاوقاف	على جسر الشهداء	الاوقاف
٢٦	جامع علاوي الحلة	جماعة خير	علاوي الحلي	الاوقاف
٢٧	جامع الشاوي	مظهر الشاوي	كرادة مريم	متولي
٢٨	جامع بنيسه	الحاج محمود البنيسة وأولاده	شارع دمشق قرب المتحف	متولي

العدد	اسم الجامع	الباني الاول	الموقع	الادارة
٢٩	جامع المنصور	الحاج رشيد ادراغ	مدخل المنصور	متولي
٣٠	جامع آل الحداد	اخوات الحداد	الرشيد (الداودي)	متولي
٣٢	جامع الكبيسي	قاسم نعمان السعدي	الرشيد (الداودي)	متولي
٣١	جامع نعمان	الحاج محمود الكبيسي	الرشيد (الداودي)	متولي
٣٣	جامع الحارثية	السيد نعيم	الحارثية	متولي
٣٤	جامع المأمون	آل السعودي	المأمون	الاوقاف
٣٥	جامع الفاروق	برهان الدين حمادي	حي الفاروق (الشرطة)	متولي
٣٦	جامع القادسية	جماعة خير	القادسية	متولي
٣٧	جامع الداخلية	رابطة العلماء	الداخلية	الاوقاف
٣٨	جامع الشهداء	الدفاع والاوقاف	أم الطبول	الاوقاف
٣٩	جامع نوري	الحاج نوري فتاح باشا	الباع	الاوقاف
٤٠	جامع الوادي	جميل الوادي	الدورة	متولي
٤١	جامع المهدي	جماعة خير	حي الموظفين	متولي
٤٢	جامع اليرموك	جماعة خير	حي اليرموك	متولي

		البانـي الاول	الموقع	الادارة
٤٣	جامع الراشدين	الاصلاح الزراعي	ابو غريب	الاوقاف
٤٤	جامع ضاري	الاوقاف	حي زوبع	الاوقاف
٤٥	جامع الدلل	عبدالمطيف المدلل	العطيفية	متولي

وفي جانبي بغداد مساجد جامعة اخرى بعضها كمل بناؤها وبعضها في طريق الكمال لم نذكرها هنا بل ارجأنا الكلام عليها في كتابنا ـ مساجد بغداد ـ الذي عزمنا بعد التوكل على الله على تأليفه ، ولله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

بغداد ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م

شاكر البدري

الفهرست

الصحيفة	الموضـــوع
٣	المقـــدمة
٥	هذى سبيلك ان رمت العلى فيها
١٠	المعـــابد
١١	المسجد الجامع
١٣	ويجـــوز
١٤	تعدد المساجد الجامعة في البلد الواحد
١٧	المقابر والمعابد
٢١	احداث المعابد
٢٦	بناء المعابد
٣٠	من هم البانون المعمرون
٣٣	من هم المخربون المانعون
٣٤	مسجد الضرار
٣٧	المعابد مبعث نور الله
٣٩	اماطة الأذى عن المعابد
٤٣	تنزيه المعابد عما لم تبنَ له
٤٥	ما لا يباح في المعابد
٤٧	ما يباح في المعابد
٥١	ما يجب ان يكون عليه المتعبد
٥٥	ما يجوز للمتعبد فعله
٥٩	المرأة والمعابد

الصحيفة	الموضـــــوع

٦١	تدرج بناء المعابد وما احدث فيها
٦٥	احداث المنابر
٦٧	احداث المحاريب
٧٠	احداث المقاصير
٧٤	احداث المنائر
٧٨	احداث المحافل
٨٧	فضيلة المعابد وفضلها على البشرية
٩٤	خاتمـــة
٩٧	واليـــوم
٩٩	نعـــم
١٠٠	فهلموا • انها
١٠٢	المساجد الجامعة في بغداد الرصافة
١٠٥	جامع الامام الاعظم
١٠٧	جامع الحضرة الكيلانية
١١٠	المساجد الجامعة في بغداد : الكرخ
١١١	جامع الحضرة الكاظمية
١١٤	الفهرست

من آثار المؤلف

١ ـ انها لذكرى ـ مطبوع : نفد
٢ ـ الذكرى الخالدة ـ مطبوع : نفد
٣ ـ تذكر اليقظان ـ مطبوع
٤ ـ الاسلام وعلل المجتمع ـ مطبوع
٥ ـ دليل العابد الى نظام المعابد ـ مطبوع
٦ ـ مساجد بغداد ـ معد للطبع
٧ ـ بغداد دار السلام ـ معد للطبع
٨ ـ مقدمة مقاصد القرآن ـ معد للطبع
٩ ـ عواصم الخلافة ـ معد للطبع
١٠ـ صلاة الليل ـ معد للطبع
١١ـ عباد الرحمن في مدرسة القرآن ـ معد للطبع
١٢ـ الصلاة واسرارها ـ معد للطبع
١٣ـ الزكاة واسرارها ـ معد للطبع
١٤ـ الصوم واسراره ـ معد للطبع
١٥ـ الحج واسراره ـ معد للطبع
١٦ـ من خطب النكبة ـ معد للطبع
١٧ـ من شعر النكبة ـ معد للطبع
١٨ـ الاسراء الى معارج الارتقاء ـ معد للطبع
١٩ـ محاسن الاسلام ـ معد للطبع
٢٠ـ وصية لقمان ـ معد للطبع
٢١ـ الوصايا العشرة ـ معد للطبع
٢٢ـ من وصايا القرآن ـ معد للطبع
٢٣ـ النظام الاجتماعي في الاسلام ـ معد للطبع
٢٤ـ الايمان والكفر ـ معد للطبع
٢٥ـ ديوان البدري ـ معد للطبع

وغيرها مما سيطلع عليه الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه

٢٩/٢٠٠٠/٥/٦/١٩٧٠

هـــذا

هـذا دليلُ العـابد ... ومنهـجُ المعـابدِ
ينهجُه اهـلُ التقى ... مِن كلِّ برٍّ ساجدِ
يَسـيرُ في حيـاتِه ... على نظـامٍ خـالدِ
أعلنه ـ الاسلامُ ـ في ... دستورِه المعـاضدِ
دستورُ حـقٍ قائمٍ ... يدعـو الى التساندِ
يـدلُّ مَـن ينهجُه ... على المقامِ الصاعدِ
ميثـاقُه في وحـدةٍ ... رصـينةِ القواعدِ
مُؤمنـةٍ ، مُسلِمةٍ ... محكمـةِ المراصدِ

* * *

فيـه قِوامُ حكمنـا ... في شـعبنا المجاهدِ
فيـه حمى اوطاننا ... مِن مُستهانٍ حاقدِ
فيـه ارتقاءُ عزنا ... في وحدةِ المقاصدِ
فيـه ارتقاءُ جمعنا ... فوق ذرى المحامدِ
فيه انتزاعُ [قدسنا] ... مِن مجرمٍ معانِدِ
مِن طغمةٍ غارقـةٍ ... في حَمْأةِ المفاسدِ

* * *

هيا فهـذا دَرْبنـا ... دَربُ الفتى المجالدِ
يقودُنا الى العـلى ... انعِمْ بـه من قائدِ
حلَّـق في أمتِـه ... فوق ذرى المصاعدِ
وهو ينادي في الملا ... هذا دليلُ العابدِ

بغداد — شاكر البدري

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 073544312
BP187
.6
.B24
A14
1970